

خافلة الزيت

صَفَر ١٣٩١ - مَارِس / ابريل ١٩٧١



نفرین طلباء جامعۃ الملك عبد العزيز الاحلیة بستہ کرونے
درود کرم دینے ازاھر الرعیۃ القویۃ اندازے بحافۃ الجامعۃ
تصویر: علیہ محمد خلیفہ



مقاومة الزيت

تصدر شهريا عن شركة الزيت العربية الأمريكية لموظفيها

ادارة العلاقات العامة

توزع محضانا

العنوان صندوق البريد رقم ١٣٨٩ الظهران - منطقة الغريبة السعودية

مختار العبد

آداب

٣	أصداء البيئة في الأدب	د. أحمد الحوفي
١٥	وقفه .. مع الشعر الجاهلي	عبد الكريم الخطيب
٢٢	فجر جديد (قصيدة)	روحية القليوبي
٣١	النظامي الكنجوي ومجنون ليل	نجاتي صدقي
٣٣	حاتم طي (قصة تاريخية)	عبد الله حشيمة
٣٧	شراع الشوق (قصيدة)	طاهر زمخشري
٣٨	أحبار الكتب	
٣٩	تحفة المحبين والأصحاب في معرفة ما للمدنيين من أنساب (حصائد الكتب) ...	عبد القدوس الانصاري

پہلو

انتشار الاسلام في الشمال الافريقي د. محمود زايد ٦
ألأعيب العقل الباطن وحيله د. محمد مظهر سعيد ٢٣

أَمْسَاطُ

٩	هيئة التحرير	جامعة الملك عبد العزيز الأهلية
١٧	هيئة التحرير	فن الحفر على الخشب
٢٥	هيئة التحرير	الأعمال البحرية في صناعة الزيت
٤٣	هيئة التحرير	من القلاع والحصون في المشرق العربي

صُورَةُ الْغُلَامِ فِي

المدير العام: مصطفى حسن النحان المدير المسؤول: علي حرقناوينيلي

رئیس القذیر: منصور مدینے المحترم المساعِد: عمونی ابوشک

يَجُوزُ امْتِسَاسُ الْمَوَادِّ الَّتِي تُعَدُّهَا هَيْئَةُ التَّحْدِيرِ دُونَ إِذْنِ مُبَيِّقٍ مَعَ ذِكْرِ الْفَائِدَةِ كَمَا مَضَى

المواد التي ستردنا ونشرفنا العافلة لا تعبر بالضرورة عن رأي هيئة التحرير

نفر من طلاب جامعة الملك
عبد العزيز الأهلية يستذكرون
دروسهم بين أزهار الربيع
المونقة التي ازدان بها فناء
الجامعة .

تصوير : علي محمد خليفة

أَصْلُ الْبَيْئَةِ فِي الْأَدَبِ

لقد

كان الأديب يتأثر بعوامل عديدة في حياته وفي انتاجه الفني ، تشكل أخلاقه وعاداته ومزاجه ، وتطبع انتاجه بطابع معين ، كالنظم السياسية والدينية والاقتصادية والاجتماعية ، فانه لا ريب في أن البيئة الطبيعية هي المؤثر الأول ، والعامل الفعال ، حتى ليصح أن نشبه النفس الانسانية بالقيثارة ، توقع عليها الطبيعة ضروبا من الألحان والأنغام ، هي رجع لما في البيئة الطبيعية من عوامل ومظاهر ، أكثر مما هي صدى لغيتها من المؤثرات .

وليس يخفى على الباحثين أن للبيئة أثرها العظيم في مفردات اللغة ، لأن اللغة وسيلة التفاهم والتعليم والإخبار ، والذين يعيشون في بيئة واحدة يتواضعون على كلمات خاصة تابعة من بيئتهم ، ويطلقون أسماء معينة على مسميات يعرفونها .

ولهذا نجد البيئة الصحراوية غنية بكلمات متصلة بالرمال والتلال والخيام والأبل وحيوانات الصحراء ونباتاتها وعاداتها ، على حين أنها فقيرة فيما يتصل بالبحر والسفن والزراعة والملاحة .

ونجد البيئة الزراعية ثرية بكلمات دالة على الزروع وآلات الزرع والحصاد ، وهي في الوقت نفسه قليلة الكلمات الدالة على ما يتصل بالصحراء .

أما البيئة البحرية فان في لغتها كثيرا من الكلمات التي تدور حول البحر والموج وحيوان البحر وعلى السفن والملاحة ، ولكن كلماتها الدالة على البيئة الصحراوية أو الزراعية قليلة ضيقة النطاق .

فاذا تجاوزنا المفردات الى الخيال تبين لنا أنه وليد البيئة أيضا . فساكن الصحراء ينتزعون منها صورهم وأخيلتهم ، ولهذا شبهوا الشجاع بالأسد والحليم بالجبل والقوي بالجلمود ، وانتزعوا من بيئتهم صورا شتى في غزلهم وفخرهم ورنائهم ومدحهم ووصفهم ، وجاءت كناياتهم مستمدة من بيئتهم البدوية ، فقالوا مثلا في توثيق الحلف

والمعاهدة الدائمة : « ما يل بحر صوفة ، وما أقام رضوى في مكانه » ، على حين أن القضاة في جزيرة « مان » البريطانية « Isle of Man » كانوا اذا أوتقوا قسمهم على مراعاة العدالة والقانون قالوا : « انا سنستقيم في تطبيق القانون استقامة العمود الفقري في ظهر سمكة الهيرنج » .

كذلك

كنى العرب عن العث في تقديم بقولهم : « كستبضع التمر الى هجر » ، وعبر عنه الانجليز بقولهم « كناقل الفحم الى نيو كاسل » ، وعبر عنه المصريون في العصر الحديث بقولهم « كبائع الماء في حارة السقاين » .

وهكذا يستمد كل قوم تعابيرهم من بيئتهم ، ويتأثرون بها في تخيلهم وفي تصويرهم .

على أن البيئة أثرها في ذوق أهلها ، وفي مقاييسهم للجمال والقيح . فالعرب استملحوا العيون الدعج ، والعيون الحور ، وأعجبوا بالدعج في الأبقار ، وبالحور في الغزلان (١) .

ولكن التركان استملحوا العيون الخزر ، والوجوه العراض المستديرة ، والأعناق القصار ، لأن بيئتهم صنعتهم على هذا الغرار .

وليس من شك في أن اتساع جزيرة العرب يجعل تعميم الأحكام تزييدا ومجانبة للصواب ، لأن الجزيرة تمتد امتدادا طويلا بين الشمال والجنوب والشرق والغرب ، ولأن الأرض تختلف اختلافا كبيرا في الانخفاض والارتفاع ، وبعضها قريب من ساحل البحر ، وبعضها موغل في البعد عنه ، ولهذا اختلف الجو وتعدد المناخ .

فهناك حر كأنه زفير النار ، وسموم كأنفاس اللهب . وهناك برد تنفقع منه الجلود ، وتتصلب الأطراف . وهناك جو معتدل أو قريب الى الاعتدال .

وهناك قحط وجفاف ، وغيث دافق ينصب ، فيجري على الأرض في مسایل أو في جداول ، ورذاذ يغني بعض الغناء .

(١) الدعج : شدة سواد العين مع سعتها . الحور : شدة بياض البياض وسواد السواد مع استدارة الخدقة ورقة الجفن .

وعلى نجد تهب نائم الصبا من الشرق ، وهي محبوبة ، أكثر الشعراء من ذكرها ومن التفتي بشذاها ، كقول الصمة بن عبدالله القشيري : أقول لصاحبي والعيس تهوى

بنا بين المنيفة فالضمار تمنع من شميم عرار نجد فما بعد العشة من عرار ألا يا حبذا نفحات نجد وربنا روضه بعد القطار وأهلك اذ بحل الحي نجدا

وأنت على زمانك غير زار شهور يتقضين وما شعرنا

بأنصاف هن ولا سرار والحق أن جزيرة العرب خالية من الأنهار الكبار ، وقليلة الأمطار الغزار كالتي تسقط على الحبشة ، لأن جبال الجزيرة ليست شواقي .

من شك في أن المطر ينبوع حياة الناس ، بمائه يطفئون ظمأهم ، ويسقون دوابهم وأنعامهم ، وعليه ترعرع الأعشاب والنباتات ، فيطعمون ويطعمون ماشيتهم .

فان حبس عنهم أجذبوا ، ولذا سموه غيثا ، وسموه رحمة وحيا ، وعرفوا الرياح الممطرة والعقيمة ، وعرفوا أوصاف الغمام الماطر والجمام ، ووضعوا للمطر أسماء دالة على مقدار مائه ، كالوابل والرذاذ ، وسموا السنة التي يشح مطرها أو ينقطع « شهاب » .

ولكن المطر ينزل غزيرا في بعض البقاع ، فيجري في الأودية ، فتفيض كأنها أنهار ، ثم يتركها غدراننا ورياضا وقيعانا وأحساء وعيوننا (٢) وهذه الأودية كثيرة ، منها وادي حنيفة ، ووادي الرمة ، ووادي موزع ، ووادي زيد ، ووادي نخلة ، وعشرات غيرها ذكرها الحمداني (٣) .

ويظهر أن بعض هذه الأودية خدع «ديودور الصقلي» في القرن الأول قبل الميلاد ، فذكر أن في بلاد العرب أنهارا كثيرة ، أتاحت لسكانها أن يزرعوا في العام الواحد زرعتين (٤) .

وفهم من وصفه ومن وصف « استرابون » لنجد أنها هضبة وجبال تغطيها السحب في أكثر الأيام ، وتسقط الثلوج عليها أحيانا ، وتهب عليها الرياح الموسمية التي تلتطف حدة الحر (٥) .

وقد ذكر عرام السلمي أسماء كثير من القرى الزراعية وأنواع فاكهتها وثمارها ، وذكر كثرة مياهها ، كقوله عن غدير « خم » انه لا يفارقه ماء أبدا من ماء المطر ، وقوله أن بعض الجبال فيها عيون ماء من المطر فلا تنقطع مياهها لكثرة ما يتجمع فيها (٦) .

ولا يصح أن يرتاب أحد في صدق هذا كله ، لما يلي :

• ما زالت الأمطار تتساقط أحيانا على بعض بقاع في الجزيرة ، ومن هذه البقاع مساحات واسعة في نجد ، ولقد شاهدت فيها شتاء غزير المطر سنة ١٩٥٧ - ١٩٥٨ غزارة لم أشهد مثلها في مصر ، اذ كانت السماء تلبد بالسحب المتراكمة أياما متوالية ، وكان المطر ينهمر في قوة وتتابع ساعات متلاحقة ، فيصنع بحيرات فساحا في البطاح ، وكان السيل يتدفق أحيانا في وادي حنيفة كالنهر الزاخر ، وكثيرا ما كانت مياه المطر تتراكم في الشوارع والطرق المرصوفة ، ثم تعلو حتى تفيض من الحافتين ، وإذا خاضت فيها السيارات غطى الماء عجلاتها الى أنصافها أو أعلى .

• احتفاء شعراء العصر الجاهلي بوصف السحب والمطر والسيل والبرق والرعد ، وهم الذين صوروا الحياة العربية كلها أدق تصوير وأصدق .

• بقاء بعض الأودية والمسائل الى اليوم .

• غنى اللغة العربية بالكلمات الكثيرة الدالة على المطر والسحاب والسيل وأوصافها وما يتصل بها .

فاذا أخذنا المطر مجالا نطبق عليه تأثير البيئة وجدنا الشعراء قد فرحوا به ، وهشوا له ، وتشوقوا إليه ، فوصفوه ، واقتنوا في وصفه ، وفي وصف ما يتصل به من سحاب وبرق ورعد وسيل .

فهذا أوس بن حجر يبيت يرقب البرق المتلألئ في سحاب كثيف يملأ الآفاق ، ويكاد يطبق على الأرض ، حتى ليخيل إليه أن يده تناله ، فلما نزل ماؤه شمل الأرض كلها ، وأصاب ما عليها ومن عليها ، سواء من كان في مرتفع ومن كان في منخفض ، وسواء من اختبأ في كن ، ومن برز في العراء .

السحاب الداكن وقد كساجيل وكأنت « شطب » ، والبرق يلعب في خلالة ، فرس محجل سبق الخيل وتكشف منها .

وقد رعد السحاب ، ثم تحركت أذيانه ، فانشقت بالماء الذي لم تطلق حملة ، وكأن السحاب طبقات تشبه كل طبقة ملاءة منشورة ، وكأن البرق الذي يتلألأ في وسطه ضوء مصباح ، والرعد يقصف فيخيل لسامعه أن بين السحب نوقا مسنة غزيرة اللبن تحن الى فصلانها حيننا فيه غلظ الصوت وقوته وخشونته ، لنسمع أولادها الراعية معها في مكان فسيح .

وهذا السحاب ساقته ريح الجنوب ، وثراكم بعضه الى بعض ، فتكاثف ليسح الماء سحا ، ويصبه صبا ، فلما جاد الأرض أخضبت رياضها وقيعانها ، واهتزت وربت ، سواء التي أصابها الرذاذ والطل ، والتي أصابها الوابل :

يا من لبرق آيت الليل أرقبه في عارض كبياض الصبح لتاح

دان مسف فويق الأرض هيدبه

يكاد يدفعه من قام بالراح

فمن بنجونه كن بمحفله

والمسكن كن يمشي بقرواح

كأن ريقه لما علا شطبا

أقرب أبلق ينفي الخيل رماح

فالتج أعلاه ثم ارتج أسفله

وضاق ذرعا بحمل الماء منصاح

كأنما بين أعلاه وأسفله

ربط منشرة أو ضوء مصباح

(٢) الغدران : جمع غدير ، وهو بركة مستطيلة منحدرة السطح يملؤها الماء الذي يجري ثم يأسن . الرياض : جمع روضة ، وهي مجتمع الماء في أرض منخفضة تنبت بها ضروب من البقل والشب ، فاذا كثرت عشب الروضة والتفت فهي حديقة . القيعان : جمع قاع ، وهو الأرض الواسعة المستوية يستقر بها الماء أحيانا عقب المطر . الأحساء : جمع حسى ، وهو حفرة ينكشف رملها عن ماء تسرب فيه الى طبقة تمسكه . العيون : جمع عين ، وهي البئر التي يسيل منها الماء . (٣) صفة جزيرة العرب ، للهمداني . (٤) تاريخ العرب ، لفيليب حتي . (٥) تاريخ العرب قبل الاسلام ، لجواد علي . (٦) أسماء جبال تهامة وسكانها .

كأن فيه عثارا جلّة شرفا
شعنا لهاميم قد همت بارشاح
بحا حناجرها هدلا مشافرها
تسيم أولادها في قرقر ضاح
هبت جنوب بأولاه ومال به
أعجاز مزن يسح الماء دلاح
فأصبح الروض والقيعان ممرعة
ما بين مرتقى منها ومنصاح (٧)

ونجد مثل هذا الوصف في شعر خفاف بن ندبة وعدي بن زيد العبادي وأبي دؤاد الأيادي وزهير ابن أبي سلمى وأبي ذؤيب الهذلي وعبد بني الحسحاس والأعشى وامرئ القيس والحارث ابن عباد وثأبط شرا والمسيب بن علس وعبيد ابن الأبرص وطرفة بن العبد والخزرق أخت طرفة . ونلاحظ أن كثيرا من هؤلاء الشعراء توافقوا على وصف المطر بالغزارة والاستمرار زمنا طويلا ، والمطول على مساحات متباعدة الأطراف . على أنهم عنوانا بما يعقب المطر من آثار :

• فنحدثوا عن صفاء الجو ، كقول امرئ القيس أن الطيور فرحت ونشطت وغردت وشقشقت وجعلت تطير ها هنا وها هنا ، وتنب من مكان الى مكان ، كأنها شربت خمرا مفلقلة :

كأن مكاسي الجواء غديّة
صبحن سلافا من رحيق مفلفل
• وتحدثوا عن العطر الذي يعقب به الجو بعد نزول المطر ، كقول الصمة بن عبد الله :

ألا يا حبذا نفحات نجد
وربا روضه بعد القطار
• ووصفوا الخصب الذي يعقب المطر واكتساء الأرض بزيينة من الخضرة ، كقول أوس بن حجر :

فأصبح الروض والقيعان ممرعة
ما بين مرتقى منها ومنصاح
• ووصفوا آثار السيل ، فقد صوره امرؤ القيس جارقا أغرق السباع ، فبدت أطرافها فوق الماء كجذور البصل البري .

كأن السباع فيه غرقى عشية
بأرجائه القصوى أنايش عتصل
وصوره طرفة بن العبد وخفاف بن ندبة قد ملأ أحجار الضباب فحبسها فيها ، فماتت ، وطفقت فوق الماء مع الزبد ، وزاد خفاف بن ندبة أنه وصل الى وكر العقاب في أعلى الجبل أو التل .

• وتنبهوا الى آثار المطر والسيل في تحريك الصخور ، وفي محو الأطلال ، وطمس معالمها ، كقول عبيد بن الأبرص :

يا دار هند عفاها كل هطال
بالخبت مثل سحق اليمنة البالي
وقول زهير بن أبي سلمى :

قف بالديار التي لم يعفها القدم
بلى وغبىرها الأرواح والديم
وهم الى هذا كله افتنوا في تصوير السحب والبرق والرعد :

• فهذا خفاف بن ندبة يتخيل أن السحب البيض لها أجنحة مثل النعام المعلق في الفضاء :
يجر بأكتاف البحار الى المسلا
ربابا له مثل النعام المعلق
ويتخيلها أوس بن حجر ملاءات منشورة في الفضاء .

أما البرق فقد تخيله امرؤ القيس مصباح راهب يضيء في الظلام ، وهذا خيال موفق ، لأن البرق يومض في ظلمات الليل وظلمات السحب ، كما يومض المصباح المعلق في الصومعة من بعيد في ظلام الليل والريح تهزه ، فيبدو ضوءه تارة ويخفي تارة ، ولكنه لم يوفق في تشبيهه بلمع اليد في الظلام ، لأن اليد البيضاء مهما تبلغ لمعتها فليست بشيء بالنسبة الى وميض البرق :

أصاح ترى برقاً أريك وميضه
كلمح الدين في حيي مكلل
يضيء سناه أو مصابيح راهب
أمال السليط بالذبال المقتل

أما عدي بن زيد فقد تخيل البرق سيوفا تلمع في الظلام :

تلوح المشرفة في ذراه
ويجلو صفح دخدار قشيب (٨)
وتخيله الأعشى شعلا :

بل هل ترى عارضا قد بت أرقبه
كانما البرق في حافاته شعل
واذا كان أوس بن حجر قد تخيل الرعد حين نوق مسنة ضخام فان النابغة الذبياني تخيله رحي تدور وتقعقع .

• ثم انهم استمدوا من المطر والسحاب والبرد والبرق والرعد أخيلة شتى ، نجتزئ منها بهذه الأمثلة :

• شبهوا بقوة السيل وانحداره ودفعه ما يعترض طريقه ، كوصف امرئ القيس حصانه وتشبيهه بمقدرته على الكر والفر والاسراع في الاقبال والادبار بصخرة قوية جرفها السيل من أعلى الى أسفل :

مكر مفر مقبل مدبر معا
كجلمود صخر حطه السيل من عل
• وشبهوا الكثرة والتلاحق والاسراع بالمطر المنسكب ، كقول الحارث ابن عباد :

يا ويل أمكم من جمع سادتنا
كنايبا كالربا والقطر ينسكب
• وشبهوا الكريم بالسحاب الممطر ، كقول زهير في مدح حصين ابن حذيفة :

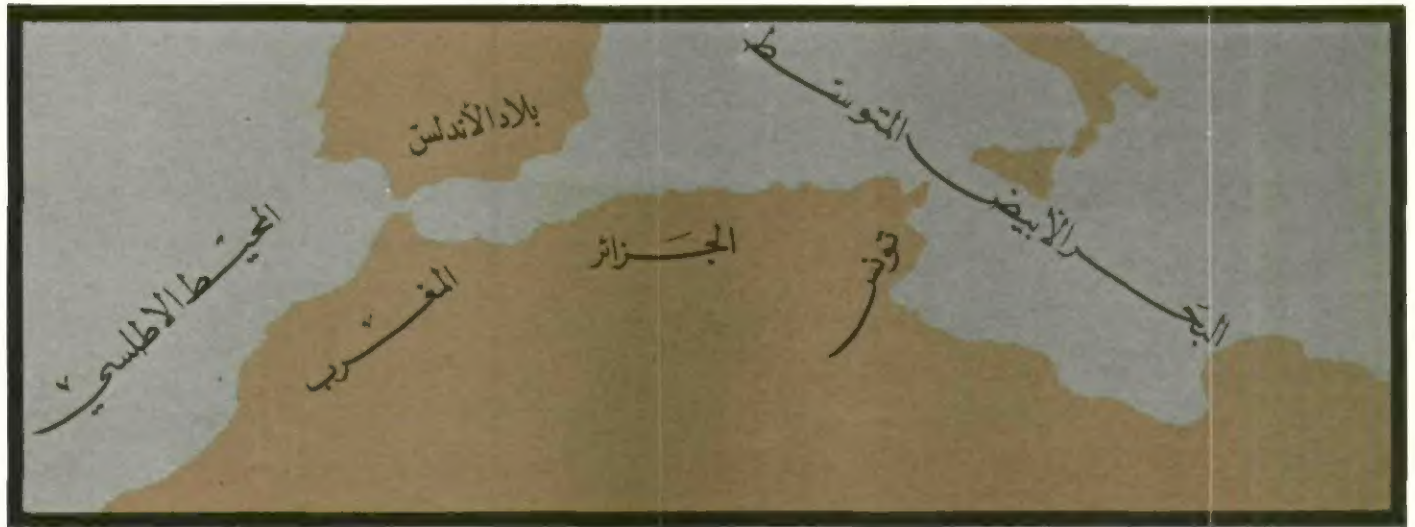
وأبيض فياض يده غمامة
على معفيه ما تغب نواضله
• وشبهوا الأسنان البيض المستوية بالبرد ، كقول عمرو بن معد يكرب :

إذا يضحكن أو يسمن يوما
ترى بردا ألح به الصقيع
وهكذا يستعين أثر البيئة في كل غرض من أغراض الشعر ، وتبدو مظاهرها في الأساليب والأخيلة والأفكار ■

(٧) عارض : سحاب معترض في الأفق . لماع : لماع . سف : شديد الدنو . هيدبه : ما تدل منه . النجوة : المرتفع من الأرض . المحفل : مستقر الماء . القرواح : الأرض الظاهرة المستوية . الريق : الأوائل . شطب : اسم جبل . أقراب : جمع قرب وهو الخاصرة . أبلق : فرس محجل الى فخذه . ينفي الخيل : يسبقها . التج : صوت . ارتج : تحرك . منصاح : بكسر الميم منشق بالماء . الريط : جمع ربيعة وهي الملاة . عشار جلة : نوق مسنة . شرف : جمع شارف وهي الهرمة . شعث : مثليدة الوبر . لهاميم : غزيرة اللبن . همت بارشاح : اشتد فصليها وقوي فصارت حنانة . تسيم : ترضى أولادها . قرقر : أرض مطشنة لينة . ضاح : بارز . دلاح : كثير الماء وهو نعت للحزن . ممرعة : مخضبة . مرتقى : أصابه مطر قليل . منصاح : بضم الميم أصابه وابل . (٨) دخدار : فارسية معربة هي الثوب المصون .

انتشار الاسلام في الشمال الافريقي

بقلم الدكتور محمود زابيد



اجتذاب غير المسلمين اليه ، وبخاصة الوثنيين ، وتحويلهم الى مؤمنين بالله واليوم الآخر ، فضلا عن تحويلهم الى مجاهدين في سبيل الله ، يبتغون مرضاته بنشر دينه ، والاستماتة في سبيل الذود عنه . ويعلق الأستاذ « جب » على هذه الظاهرة في الاسلام بقوله :

« هناك ظاهرة خاصة صحبت الاسلام ، وهي قوة الثقافة الاسلامية الفتية على اضعاف ذكرى الثقافات الموروثة ، بل على محوها في بعض الأحيان من نفوس معتنقيه واحلال تاريخ الاسلام وتقاليده الثقافة الاسلامية محلها . كاد الناس في كل الأقطار ينسون ما كان لهم من ماض قبل الاسلام - نسي المصريون فراعنتهم وبطالستهم ، ونسي الأتراك خاقاناتهم وهلم جرا ، ورجعوا الى بلاد العرب والخلفاء المسلمين الأولين يتخذون منهم أسلافا روحيين . »

في أن « جب » أصاب كبد الحقيقة . ففي تجارب العرب خلال تاريخهم الحديث ما يؤيده . فقد سبق لعدد من مفكري مصر ، وبخاصة في العقد الثالث من هذا القرن ، أن اعتقدوا بأنه من الممكن

الاعجاب ما في ذلك شك . ولنكرر القول أن هذا الفتح أحدث خلال القرن السابع ثورة كبرى : لقد انهار الحجاز المغلق اغلاقا محكما من كل ناحية ، ذلك الحجاز الذي كان يفصل الشرق عن الغرب . »

على أنه مما يستلفت النظر حقا أن هذا الانجاز المذهل لم يظفر الى الآن الا بدراسات قليلة لا تشفي غليل الباحث . فأكثر الكتاب والمؤرخين المعنيين بدراسة شمال افريقية يقبلون على تاريخه السياسي لا على تلك العملية الحضارية الكبرى التي جعلت منه جزءا لا يتجزأ من العالمين الاسلامي والعربي . ويمكن رد هذا الى سهولة تتبع الفتح اذا ما قورن بصعوبة تتبع انتشار الاسلام وغلبة اللغة اللذين تما في فترة زمنية تطول فترة الفتح بكثير ، وانطويا على مشكلات تتطلب ممن يتصدى لها مؤهلات خاصة دينية ولغوية وغيرها .

ولعل أول ما ينبغي أن يؤخذ بعين الاعتبار عند البحث في انتشار الاسلام في شمال افريقية وفي غيره من البلدان هو أن طبيعة الاسلام نفسه - دينا وثقافة شاملة - تتصف بقدرة كبيرة على

تعريب شمال افريقية ، واشراق شمس الاسلام على ربوعه وغرس بذور الثقافة الاسلامية في نفوس سكانه وأهليه لمن أعظم الانتصارات التي حققتها موجة الفتح الاسلامي العربي الكبرى التي انطلقت من الجزيرة العربية عقب وفاة رسول الله ، صلى الله عليه وسلم . ففي خلال ما يقرب من ألفي سنة قبل الفتح الاسلامي ، تعرض شمال افريقية لتأثيرات حضارية مختلفة خلال حكم الفينيقيين والرومان والفندال والبيزنطيين ، لكن أيا من هذه الأمم لم تستطع أن تثبت أقدامها في هذه الديار ، ولا أن تسبغ عليها طابعا حضاريا باقيا . أما الفاتحون المسلمون العرب فقد حالقهم التوفيق كله في اضعاء الطابع الاسلامي العربي على البلاد وأهلها . ولا يزال توفيقهم هذا مبعث دهشة المؤرخين الغربيين ومثار اعجابهم . ويقول « جوتييه - Goethe » في هذا الصدد :

« لا زالت النتائج التي وصل اليها العرب (في فتحهم الشمال الافريقي) تدهشنا الى الآن . لقد عرب المغرب الى حد كبير ، وتحول الى الاسلام تحولا تاما عميقا ، وهذه نتيجة تدعو الى

بناء النهضة العربية الاسلامية على أسس غربية ، وجاهر الدكتور هيكمل ، وعدد غيره ، بتمجيد الفرعونية والتغني بالحضارة الغربية . على أنه لم يلبث أن أدرك أن البناء على غير الاسلام باطل لن يقدر له النجاح . وكتب يقول :

« وقد حاولت أن أنقل لأبناء لغتي ثقافة الغرب المعنوية وحياته الروحية لتتخذها جميعا هدى ونيراسا ، لكنني أدركت بعد لأي أنني أضع البذر في غير منبته ، فاذا الأرض تهضمه ، ثم لا تتمخض عنه ، ولا تبث الحياة فيه . وانقلبت الشمس في تاريخنا البعيد في عهد الفراغة موثلا لوحى هذا العصر ينثى فيه نشأة جديدة . فاذا الزمن ، واذا الركود العقلي قد قطعنا ما بيننا وبين ذلك العهد من سبب قد يصلح بذرا لنهضة جديدة . فرائيت أن تاريخنا الاسلامي هو وحده البذر الذي ينبت ويثمر ، ففيه حياة تحرك النفوس ، وتجعلها تهتز وتربو ، ولأبناء هذا الجيل في الشرق نفوس قوية خصبة تنمو فيها الفكرة الصالحة لتؤتي ثمرها بعد حين . »

على أن هناك عوامل عدة أخرى كان لها أعظم الأثر في انتصار الاسلام . وأول هذه أن المسيحية التي كانت قد دخلت الشمال الافريقي في القرن الثاني الميلادي لم تستطع خلال القرون المتعاقبة التي سبقت الفتح الاسلامي أن تمد جذورها راسخة بين البربر ، ووجد الفاتحون المسلمون الأوائل أمر المسيحية قد تدهور على نحو لا ينفع معه علاج . ولا أساس لما يذهب اليه البعض من أن ذلك التدهور جاء نتيجة لاضطهاد المسلمين للمسيحيين . ويعلق على هذا « دوايت بيكر » في بحث له عن اختفاء الكنيسة المسيحية في شمال افريقية بقوله :

« وبعض الاجابات عن التساؤل عن اختفاء الكنيسة المسيحية غير دقيقة . وأسطها ، وربما أقدمها ، هو الاعتقاد بأن المسلمين أكرهوا المسيحيين على اعتناق الاسلام بحد السيف ، ولكن ليس هناك أساس يذكر لهذا الزعم الشائع . فالمسلمون لم يقفوا عند حد السماح للمسيحيين بالتمسك بديانتهن ، بل كانوا في الغالب يشجعونهن على ذلك . »

كان العامل الرئيسي في تدهور الكنيسة المسيحية في شمال افريقية هو الخلافات المذهبية ، واضطهاد الحكام لأصحاب المذاهب المخالفة للمذهب الرسمي . وكانت المسيحية قد دخلت شمال افريقية في القرن الثاني الميلادي خلال حكم الرومان ، ونجح

الربان والمبشرون خلال القرنين التاليين في كسب أتباع كثيرين . لكن الدولة كانت أحيانا تضطهدهم لمخالفتهم عبادة الأباطرة . ثم نشب خلاف مذهبي في صفوف المسيحيين ، تزعم أسقف قرطاجنة بعضهم ، وتزعم الأسقف « دوناتوس » البعض الآخر . وانضم كثيرون من البربر الى مذهب « دوناتوس » ، واعتبروه رمزا لمقاومة الرومان . وجاء البلاء الكبير عندما انتزع البرابرة الوندال من أتباع « آريوس » افريقية من الرومان في القرن الخامس الميلادي ، فاضطهدوا جميع من سواهم من المسيحيين . ويذهب الأستاذ « توماس آرنولد » الى أن الوندال أنزلوا بالكنيسة المسيحية ضربة لم تنق منها أبدا . ولما سحق البيزنطيون (الروم) الوندال بقيادة « بليسايريوس » سعوا الى رأب الصدع في صفوف المسيحيين ، لكنهم لم ينجحوا في ذلك . وعادت الخلافات المذهبية تدق مسامير أخرى في نعش المسيحية ، حتى اذا كان الفتح الاسلامي ، وجد المسلمون المسيحيين قد تناقصوا الى حد كبير . على أنه مما لا شك فيه ان صعوبة ترجمة النصوص المسيحية المقدسة الى لغة المواطنين لعبت دورا كبيرا في عجز المسيحية عن ارساء جذورها في لغة المواطنين ومشاعرهم ، وباقى نواحي ثقافتهم . والاقصار على الترجمة الى المواطنين لا يغني شيئا عن جعل الديانة المسيحية جزءا من تراث أهل البلاد ، يفهمونها بلغتهم ، وينقلونها بها الى غيرهم . ولعل هذا هو الفارق الكبير بين مصر المسيحية في شمال افريقية ومصريها في الشرق الأدنى العربي حيث نقلت نصوصها الى لغة أهل البلاد . وقد يكون هذا هو السبب في ان الكنيسة القبطية لا تزال قائمة ، وان الكنيسة الأرمنية بقيت كذلك .

لكن حماسة المسلمين لنشر ديانتهن لعبت دورا كبيرا في انتصار الاسلام في شمال افريقية . واتبع المسلمون عدة سبل لتحقيق هذا الغرض . فزاهم منذ ابتداء فتوحهم يتيحون الفرصة لأبناء البربر وبناتهم في (برقة) في الانضمام اليهم ، الأمر الذي كان يتم بعلم من أولياء أمورهم وبرضاهم .

ويذهب أحد مؤرخي المغرب الى أن اجتذاب المسلمين لأبناء البربر الى صفوفهم كان يحقق ثلاثة أهداف رئيسية :

« أولا ديني بتنشئتهم على العقيدة الاسلامية ، ونشر الدين عمل من أعمال البر والتقوى ، وثانيا اجتماعي بتعريبهم عن طريق اللغة

العربية ، وتربيتهم على العادات والتقاليد العربية ، ثم التزاوج معهم ، ونشر العروبة كان رسالة العرب ، وثالثها سياسي ، وهو نتيجة طبيعية لسابقه ، بتوثيق أواصر الصلة بين العرب والبربر ، وفي ذلك توحيد وتقوية لدولة العرب . »

العرب يلجأون أحيانا الى أخذ رهائن من البربر يكونون ضمانا لحسن سلوكهم من ناحية ، ويحققون من ناحية أخرى غرضين : الأول العمل على نشر الاسلام بينهم ، والثاني قتالهم الى جانب المسلمين . فعندما قتل حسان بن النعمان الكاهنة زعيمة البربر وأدعن أتباعها للمسلمين ، أبى حسان أن يقبل منهم ذلك حتى يعطوا له اثني عشر ألف فارس رهائن يجاهدون مع العرب حيث جاهدوا ، ويقاثلون من كفر من البربر والروم . فأجابوه لذلك وأسلموا على يديه . وولى حسان ولدي الكاهنة « يفرن » و « يزديان » كل واحد منهما على ستة آلاف ، وترك معهما ثلاثة عشر رجلا من علماء التابعين يعلمونهما القرآن وشرايع الدين . ويذكر « ابن عذاري » صاحب كتاب « البيان المغرب » ان موسى بن نصير عين سبعة عشر رجلا من العرب لتعليم الرهائن من البربر القرآن الكريم وشرايع الاسلام .

ولا ضرورة للمبالغة في أهمية خطوتين خطاهما العرب في سبيل كسب البربر الى صفوفهم . أما الخطوة الأولى فهي المساواة بين العرب والبربر المحاربين في قسم الفتي . ويبدو ان الذي فرض هذه المساواة من جملة ما فرضه من تراتيب ادارية ، هو حسان بن النعمان (٧٣ - ٨٥) . ودل بذلك على تبصر بالأمور وبعد نظر . فبهذا لم يجتذب البربر الى الاسلام وإلى صفوف المحاربين فحسب ، وانما كذلك جنب شمال افريقية كثيرا من المتاعب التي أثارها الموالي في المشرق ، واستغلها الطامعون في الثورة على الدولة ، ومن أبرزهم المختار بن أبي عبيد الثقفي في الكوفة . أما الخطوة الأخرى فهي تعيين بعض البربر في مناصب عالية في الادارة ، وقد ابتدأها الولي أبو المهاجر دينار (٥٥ - ٦٢) وسار عليها خلفاؤه من بعده . فكان حسان بن النعمان عندما يخرج من القيروان ينوب عنه مولاه أنا صالح . ويذكر « ابن عبد الحكم » صاحب كتاب « فتوح مصر وأخبارها » ، انه كان على برقة مولى لعبد العزيز بن مروان اسمه « تليد » ، وكان على مقدمة جيش حسان أحد زعماء قبيلة « لوانة » ، وهم من البربر .

وسهل تقارب العرب والبربر وتمازجهم ما اجتمع لهما من صفات البداوة والقطرة والنشاط وجب القتال وتنظيمهم الاجتماعي . ولا بد وأن مآتي العرب الفاتحين ملأت البربر بالاعجاب بهم وحفزتهم على الانضمام الى صفوفهم . ولا عجب اذن أن نرى البربر يسهمون اسهاما كبيرا في الفتوح الاسلامية في الغرب . فالجيش الذي أرسله موسى بن نصير الى الأندلس كان معظمه من البربر ، كما ان موسى بن نصير عهد بمهمة قيادته الى طارق بن زياد ، متخطيا بذلك عددا من كبار قادة العرب مثل « زرعة بن أبي مدرك » ، و « عياش بن أخيل » ، و « المغيرة بن أبي بردة » ، وغيرهم .

وكان لظهور دول شمالية افريقية تحت لواء الاسلام دور بارز حاسم في اجتذاب قبائل كثيرة الى الاسلام ، لا في الشمال الافريقي فحسب ، بل وبين الزنوج في الجنوب . ونخص بالذكر هنا دولتي المرابطين والموحدين ، وكلاهما امتدت سيطرتهما الى الأندلس أيضا . استهدفت كل من الدولتين الإصلاح الديني والسياسي والاجتماعي ، وتمكنت بالفعل من اجتذاب قبائل البربر المتوعدة في الداخل . وهب كلاهما لنجدة المسلمين في الأندلس خلال عهد ملوك الطوائف . وقام « ابن تومرت » ، مؤسس دولة الموحدين ، بتقريب عقيدة جماعته في التوحيد من عامة البربر بما ألفه من كتب بلغة البربر شرح فيها قواعد الاسلام . وقد استطاعت دولة الموحدين أن تبني دولة كبرى توحد فيها الشمال الافريقي كله حتى تخوم مصر ، هذا بالإضافة الى الأندلس . وما يستلفت النظر هنا أن كلا من هاتين الدولتين لم تهدف الى اعادة مجد ضائع للبربر ، وإنما الى اقامة دولة تحيي السنة الاسلامية .

وكان انشاء الحواضر الاسلامية في مختلف الأقطار عاملا مهما جدا في تثبيت أقدام الفاتحين الأول ، وتنظيم الفتح ، واشراق نور الاسلام على مختلف النواحي المجاورة ، ونشر اللغة العربية بين أهلها . وكان « عقبة بن نافع » هو الذي استهل سلسلة المدن الكبرى في الشمال الافريقي . فبتأسيسه لمدينة القيروان في تونس ، في أوائل الفتح ، أظهر الولاية الافريقية الاسلامية ، وهياً للمسلمين قاعدة ينطلقون منها في فتوحاتهم ، ومركزا حضاريا ينشرون فيه ومنه دينهم ولغتهم . ويقول ياقوت الحموي صاحب « معجم البلدان » في هذا الصدد :

« سار عقبة الى افريقية ونازل مدنها ، فافتتحها عنوة ، ووضع السيف في أهلها ، وأسلم على يده خلق من البربر وفشا فيهم دين الله ، حتى اتصل ببلاد السودان ، فجمع عقبة حينئذ أصحابه وقال : ان أهل هذه البلاد اذا عضهم السيف أسلموا ، واذا رجع المسلمون عنهم عادوا الى عادتهم ودينهم ، ولست أرى نزول المسلمين بين أظهرهم رأيا . وقد رأيت أن أبني ههنا مدينة يسكنها المسلمون ، فاستصوبوا رأيه ... »

وقام حسان بن النعمان (٨٨٤هـ) بانشاء المدينة الثانية في الشمال الافريقي وهي تونس ، لتكون محرسا للبحر ، وميناء جديدا للبلاد يقوم مقام قرطاجنة التي كانت ثغر ولاية افريقية البيزنطية . وقد قدر لتونس أن تلعب دورا خطيرا في تاريخ البحر الأبيض المتوسط ، لأنها ، كما يقول الدكتور حسين مؤنس ، « كانت النافذة التي أطل منها عرب المغرب على غربي هذا البحر ، والباب الذي خرجوا منه الى « صقلية » و « سردينية » و « ايطاليا » ، ليلعبوا دورهم الخطير في هذه النواحي » وفي القرن الثاني الهجري ، أسست مدينتان أخريان كان لهما تأثير حضاري كبير وهما « تاهرت » في المغرب الأوسط ، و « فاس » في المغرب الأقصى . وفي رحاب فاس ، ومن بعدها مراكش ، نشأت المدارس والجامعات ، والتقى علماء الأندلس بعلماء المغرب الأقصى ، وتمازجت الثقافتان الاسلاميتان الأندلسية والافريقية ، وحملت الثانية من الأولى سمات باقية تجلت في عمارتها وأدبها وفكرها .

ومع أن المسلمين في شمال افريقيا لم يتوانوا عن نشر الاسلام ، فقد شهدت الدعوة الى الاسلام موجة قوية في القرن السادس عشر . وكان الباعث الأكبر في انطلاق هذه الموجة هو ما حل بالمسلمين في اسبانيا من اضطهاد على يد الاسبان . وانطلق الدعاة جماعات جماعات الى الأماكن الجبلية النائية ، تضرب أمثالا في الورع لأهل البلاد . ويقول في هذا الأستاذ « آرنولد » :

« وانطلق الدعاة جماعات ، كل جماعة تتألف من خمسة أو ستة الى وجهات مختلفة في وقت واحد .. وسرعان ما أثار تقشفهم وطول تعبدهم فضول القبائل الذين أخذوا بعد وقت وجيز يبادلونهم الصداقة والود . وتمكن الدعاة شيئا فشيئا من الظفر بما أرادوا عن طريق ما عرفوه من الطب والصناعات الآلية وبعض مزايا أخرى من الحضارة ، وأصبحت كل صومعة مركزا من مراكز التعليم الاسلامي ، واجتمع حولهم طلاب

للعلم . وأصبح هؤلاء الطلاب بعد فترة من الزمن دعاة الى الاسلام بين قومهم ، حتى استطاعوا أن ينشروا دينهم في كافة أنحاء البلاد التي تسكنها القبائل ، والقرى التي تقع في صحراء الجزائر . » على أنه كان لهجرة القبائل العربية الى بلدان شمال افريقيا واستيطانها في البلاد ، وبخاصة على السواحل ، تأثير كبير في تعريب البلاد ، وبالتالي في نشر الاسلام في ربوعها . ونخص بالذكر من هذه الهجرات هجرة بني هلال وبني سليم في القرن الحادي عشر أثناء خلافة المستنصر الفاطمي . وكان هذا الخليفة قد نعم على الدولة الزيرية ، فلم يجد وسيلة للانتقام أفضل من اطلاق عرب بني هلال وبني سليم ليجتاحوا ليبيا وتونس . وكان هؤلاء يعيشون فسادا في مصر شرقي النيل ، فأراد الخليفة أن يصيب عصفورين بحجر .. فبدفعهم الى اجتياز النيل يرتاح من شغبهم ، وفي الوقت ذاته يجتاحون ملك خصمه . واتخذ المستنصر هذه الخطوة بناء على نصيحة الوزير اليازوري الذي قال له :

« فان صدقت المخيلة في ظفرهم (أي العرب) بالمعز وصنهاجة (خصوصه) كانوا أولياء للدعوة ، وعمالا بتلك القاصمة ، وارتفع عدوانهم من ساحة الخلافة ، وان كانت الأخرى فلها ما بعدها ، وأمر العرب البادية أسهل من صنهاجة الملوك . »

بم أن المستنصر ، وان حقق بعض غرضه الأول ، أي النيل من الزيريين ، فإنه لم يستطع استعادة ولاء البلاد للخلافة الفاطمية ، ولا مواصلة الدعوة الفاطمية . وكان الأثر البعيد لسياسته شيئا لم يدخل في حسبانها ، وهو أن هؤلاء العرب رسخوا قواعد حركة التعريب في المناطق التي اجتاحتها سواء من حيث اللغة أو العادات أو الانتساب الى أرومة عربية ، وهكذا كان في الشر خير كثير . قال ابن خلدون عند الحديث عن « هوار » الذين تبدوا مع بني سليم : « صاروا في عداد الناجعة عرب بني سليم في اللغة والزري وسكنى الخيام وركوب الخيل وكسب الابل وممارسة الحروب ، وإيلاف الرحلتين في الشتاء والصيف ، في تلوهم ، قد نسوا رطانة البربر ، واستبدلوا منها بفصاحة العرب ، فلا يكاد يفرق بينهم . »

وهكذا ، وبعد أقل من أربعمئة سنة من الفتح الاسلامي لشمال افريقيا ، رسخت جذور الاسلام في البلاد ، مع أن الديانات الأخرى سلخت من حياتها آلاف السنين في خلع صبغتها على المنطقة ، ولم تفلح

جامعة الملك عبد العزيز الأهلية في جدة

« هذه الجامعة هدفها نقل التراث الإنساني إلى الأجيال الصاعدة، وتهئية الشباب الجامعي وتأهيله علياً من أجل حياة العملية من جهة، وللساهمة في زيادة المعرفة الإنسانية عن طريق البحث العلمي من الجهة الأخرى، وكذلك زيادة معرفة الشباب السعودي ببيئته وظروف تطورها، ضمن إطار من تراثنا العربي والإسلامي. »

د. أحمد علي
نائب رئيس الجامعة وعميد كلية الاقتصاد فيها



حلم يتحقق

كانت فكرة انشاء جامعة في المنطقة الغربية من المملكة العربية السعودية حلما يداعب أذهان العديد من رجال الفكر والتربية في تلك المنطقة منذ أمد بعيد . وفي مستهل عام ١٣٨٤ هـ قام نفر من أولئك بعرض الفكرة على جلالة الملك فيصل الذي باركها وأطلق عليها اسم والده المغفور له جلالة الملك عبد العزيز . كما ترأس جلالة افتتاح أعمال الهيئة التأسيسية للجامعة عند انعقادها ، وأشاد بجدوى تعاون المواطنين مع الدولة في مثل هذه المشروعات الخيرة .

وبعد أن أخذت التبرعات تنهال من المؤسسات والأفراد ، انبثقت عن الهيئة التأسيسية لجنة تنفيذية لتتولى اتخاذ الخطوات العملية لإبراز المشروع الى حيز التحقيق ، وكان أول عمل قامت به هذه اللجنة أن وضعت الخطة المتكاملة للمشروع من النواحي العلمية والعملية والمالية عن طريق لجان متفرعة كومت لتحقيق هذه الأغراض . كما كان من أبرز أعمالها الرائدة ابتعاث عدد من الخريجين السعوديين الى الخارج للتخصص والحصول على درجات علمية عالية تؤهلهم للتدريس في الجامعة ، وحمل أعباء الادارة في مختلف الأقسام ، وقد أسهمت وزارة المعارف بابتعاث عدد آخر من الخريجين للغاية ذاتها . كما استدعت اللجنة التنفيذية هيئة علمية استشارية مؤلفة من كبار رجال التعليم في عدد من الجامعات العربية والاسلامية والغربية لوضع التخطيط الكامل للكيان الجامعي المقترح . وقد أوصت اللجنة المذكورة ، اثر دراسات مستفيضة وزيارات متعددة قامت بها لمختلف المؤسسات العلمية في المملكة ، بضرورة انشاء تلك الجامعة في مدينة جدة بالذات ، لتكون متممة لرسالة شقيقتها في الرياض والظهران . كما أشادت بمساهمة القطاعين الخاص والعام في بناء هذا الصرح العلمي ، وهو أمر يهيئ لها فرصة ذهبية لإداء رسالتها الخاصة التي تستهدف من ورائها تهئية الثقافة الجامعية الأصيلة ، وإجراء البحوث العلمية ، وتنمية الموارد البشرية المؤهلة ، والاهتمام بتراث الفكر العربي والاسلامي ، والسعي الى تعزيز التبادل الثقافي وتوطيد علاقات التعاون بينها وبين غيرها من الجامعات . وكذلك كان من أبرز التوصيات التي تضمنها تقرير اللجنة الاستشارية اقتراح بإنشاء « المجلس العلمي » للجامعة ، للنظر في الشؤون العلمية والتخطيطية ،

الحقائق الغناء والأشجار النضرة تساعد الطلاب على الترويح عن أنفسهم وتذكروهم الى استذكار دروسهم في الهواء الطلق .

والبحث العلمي ، والامتحانات ، واختيار أعضاء هيئة التدريس ، وتطوير المختبرات الفنية والمكتبات الجامعية ووسائل الاعلام .

افتتاح الجامعة

لقد كان لتبرع المرحوم معالي الشيخ عبد الله السليمان وزير المالية والاقتصاد الوطني الأسبق بعدد من المباني الكبيرة لمشروع الجامعة ، أثره الفعال في تسهيل افتتاح الجامعة ، بعد اجراء التعديلات الضرورية واتخاذ الاستعدادات العلمية اللازمة . وكانت اللجنة الاستشارية قد أوصت بوجود البدء بـ « كلية الاقتصاد والادارة » نظرا لحاجة البلاد الملحة الى طائفة كبيرة من المختصين في علوم الاقتصاد والتجارة والمحاسبة وادارة الأعمال والادارة العامة . وقد استقبلت الجامعة في مطلع العاام الدراسي ١٣٨٧ - ١٣٨٨ (١٩٦٧ - ١٩٦٨) ستين طالبا ممن حصلوا على الشهادة الثانوية العامة ، ليكونوا أول دفعة في السنة الاعدادية لكلية الاقتصاد والادارة . كما قبلت الجامعة في العام ذاته ثلاثين طالبة تقدمن للالتحاق في السنة الاعدادية بقسم الدراسات المسائية . ويشمل البرنامج الدراسي للسنة الاعدادية على مواد ودروس في الثقافة الاسلامية واللغة العربية وآدابها واللغة الانجليزية والرياضيات والعلوم والتربية البدنية ومادة اضافية كالاقتصاد أو مبادئ الاقتصاد أو مدخل العلوم الادارية والقانونية . ويستهدف هذا البرنامج تمكين الطلاب من العلوم الأساسية في اللغة الانجليزية قراءة وكتابة ومحادثة وانشاء .

الدراسة في الكليات

وفي العام الدراسي الذي تلاه ١٣٨٨ - ١٣٨٩ باشرت كلية الاقتصاد والادارة مهام التدريس . وهي تشمل أقسام الاقتصاد ، وادارة الأعمال ، والمحاسبة ، والتسويق ، والاعلان ، والادارة العامة ، والعلوم السياسية . وسيكون بإمكان الطالب الذي ينهي البرامج الدراسية في هذه الكلية الحصول على شهادة البكالوريوس في أي فرع من الفروع الآتفة الذكر ، وذلك في مدى أربع سنوات تضاف الى السنة الاعدادية التي تسبق الدراسة الجامعية . وتنحصر الدراسة الحالية

في أقسام الادارة العامة ، وادارة الأعمال ، والاقتصاد ، الى أن تستكمل بقية الأقسام . وفي مطلع العام الدراسي « ١٣٨٩ / ١٣٩٠ » افتتح قسم اللغة الانجليزية كأول قسم في كلية الآداب والعلوم الانسانية المزمع انشاؤها . وتشمل خطة السنوات العشر القادمة استكمال أقسام هاتين الكليتين وانشاء كليتي العلوم والنبات .

الدراسات المسائية

أما قسم الدراسات المسائية فقد انشئ استكمالاً لرسالة الجامعة الثقافية والتربوية ، وتنظم فيه دراسات مسائية للطالبات اللواتي أنهين الدراسة الثانوية بنجاح وحصلن على الشهادة الثانوية العامة ، تمكيناً لهن من متابعة الدراسة الجامعية . ويقوم بالتدريس فيه مدرسات تحت اشراف أساتذة الجامعة ، وطبقاً للمنهاج الدراسي العام للجامعة نفسها . وتخصص للبنات أوقات للاستفادة من المكتبة ومختبري اللغة والعلوم . ومن المزمع انشاء « شبكة تلفزيون مغلقة » لتمكين الطالبات من متابعة المحاضرات التي يلقيها أعضاء هيئة التدريس .

الطلاب وهيئة التدريس

بلغ مجموع المتحققين بجامعة الملك عبد العزيز الأهلية للعام الدراسي الحالي (١٣٩٠ - ١٣٩١) (١٩٧٠ - ١٩٧١) ٣٠٨ طلاب و ١٧١ طالبة . أما الهيئة التدريسية فهي نخبة من حملة الشهادات العالية وذوي الاختصاص والخبرة من السعوديين وغيرهم . وقد بلغ عدد أعضاء الهيئة التدريسية للعام الحالي ٣١ متفرغاً و ٥ من غير المتفرغين . أما في قسم الدراسة المسائية للبنات فقد بلغ عدد المدرسات لهذا العام سبع مدرسات متفرغات و ١٥ من غير المتفرغات .

ويحق لكل طالب سعودي أنهى الدراسة الثانوية وحصل على الشهادة الثانوية العامة بنجاح أن يدخل الجامعة بعد أن يجتاز فحص المقابلة ، والكشف الطبي . ولا تقبل الجامعة الدراسة بالمراسلة أو الانتساب ، كما لا تتقاضى أية رسوم دراسية رغم اعتمادها على التبرعات والمساعدات المحدودة ، وهي فضلاً عن ذلك تساعد الطلبة المحتاجين بمكافآت شهرية بين مائة ومائتي ريال . هذا وتلتقي الجامعة معونة سنوية من الدولة



جانب من محل اللغة الانجليزية التابع لجامعة الملك عبد العزيز الأهلية ، وهو من الوسائل المهمة التي تعين الطلاب على اعادة اللفظ واتقان نطق مخارج الكلمات الانجليزية .



سمك أبو قري « أبو جبة » من أنواع الأسماك العديدة التي تضمها جنبات
مختبر التاريخ الطبيعي في جامعة الملك عبد العزيز الأهلية بجدة .



تزخر مكتبة الجامعة بعشرات المراجع والمخطوطات
التي يفيد منها الطلاب عند البحث والاستذكار .

تاما ، كما اننا نوسع في الانشاء بقدر ما تسمح
الامكانيات وتدعو اليه الضرورة الناشئة عن
ازدياد عدد الطلاب ونمو الفصول الدراسية . ولذا
فأنت لا ترى مباني خاصة بمختلف الأقسام في
المرحلة الحالية ، لأن جميع هذه المباني تعتبر
موقفة الى أن يتم اختيار الموقع النهائي الذي
سيقوم عليه الحرم الجامعي المتكامل .

وقبل أن نختم حديثنا عن المباني لا بد من
الاشارة الى حديقة البرتقال والليمون التي تحاذي
البناء الشمالي الغربي من ناحية الغرب حيث
غرست أشجار البرتقال والليمون والبوسفي ، في
صفوف متباعدة متناسقة وتدل من غصونها
قطوف البرتقال والليمون الياقة ، وتغرد في
جنياتها العصافير سعيدة فرحة .

مكتبة الجامعة

تولي الجامعة اهتماما بالغا بإنشاء مكتبة مركزية
مدعمة بالمراجع والمصادر والكتب الأساسية . أما
عملية اختيار الكتب والمراجع فتم بالتعاون بين
جهاز المكتبة وأعضاء هيئة التدريس كل حسب
اختصاصه . وتولي الاشراف على شؤون المكتبة
المركزية لجنة خاصة من ممثلين عن ادارة الجامعة

ويحوي عددا من قاعات النوم لطلبة القسم
الداخلي ، وعددا من المستودعات . وقد أحيطت
هذه المباني بشجيرات وأزهار تبعث في الجو عيرا
شديا . وعلى الطرف الشمالي الشرقي يقوم بناء
آخر ذو سطوح قمرية خضر ، ويضم المكتبة
بقاعاتها الثلاث وملحقاتها ، كما يضم مكاتب
أعضاء هيئة التدريس ، والوحدة الصحية ،
وبعض المدرجات والفصول الدراسية . وعلى مسيرة
خطوات من المكتبة الرئيسية تقوم مرافق سكنية
لطلاب السنة الاعدادية . وإلى الشرق من هذا
البناء يجري العمل في انشاء مبنى آخر يتكلف
بناؤه ما يقارب المليون ونصف المليون من الريالات ،
ويتألف من ثلاثة أدوار تستوعب المكتبة المركزية
حيث سيجري نقلها اليها ، و ٢٧ فصلا دراسيا
وقاعة للمحاضرات تسع لأربعمئة وخمسين
شخصا ، بالإضافة الى عدد من المكاتب الخاصة
بأعضاء الهيئة التدريسية تفي بحاجة الجامعة
لبضع سنوات .

ويقول الأستاذ « درويش جستنية » مدير
العلاقات العامة بالجامعة ومدرس الجغرافيا
الاقتصادية : « انه بالنظر الى ظروف الجامعة
المادية وحالة مبانيها ، فاننا نجد أنفسنا مضطرين
الى استغلال كل شبر من المباني الحالية استغلالا

تقدر بمليون ونصف المليون من الريالات ،
بالإضافة الى تبرعات ثابتة ومساعدات يقوم بها
العديد من الأفراد والشركات والمؤسسات المحلية
في البلاد . غير أن الدولة تقدم ، بالإضافة الى
معاونتها الثابتة ، عددا من المنح الدراسية
للتخصص ، كما تقدم تسهيلات أدبية وفنية لا
حصر لها عن طريق مختلف أجهزتها .

المرافق الجامعية

تتكون مرافق الجامعة من مباني منفصلة بعضها
عن بعض ، منها مبنى يحوي كلية الاقتصاد
والادارة ، وادارة قسم اللغة الانجليزية ، ومختبر
اللغة الانجليزية ، ومختبر العلوم ، ومدرجا ،
وصالة للمحاضرات . وأربعة فصول دراسية وغرفة
اعداد معروضات متحف التاريخ الطبيعي .
وبجانب هذا المبنى الرئيسي يوجد مبنى آخر
أصغر حجما يحوي مكاتب ادارة الجامعة وقاعة
الاجتماعات . ويجاور هذا المبنى نادي
الكلية ، وبه قاعات لكرة الطاولة ، ومكتب مدير
شؤون الطلاب ، والمقصف ، وقاعة اجتماعات
اللجان الطلابية . وإلى مسافة غير بعيدة عن مبنى
رابطة الطلاب يقوم بناء آخر يوازيه حجما ،

منها الى الجامعة . ويقوم المشرف على متحف التاريخ الطبيعي برحلات استطلاعية لجمع العينات من البر والبحر بالتعاون مع ادارة الثروة السمكية والمائية في فروع وزارة الزراعة بجدة . وتعاون الجامعة في هذا السبيل مع المسؤولين في متحف التاريخ الطبيعي بجامعة بغداد من أجل تطوير هذه النواة وتحويلها الى متحف عام للتاريخ الطبيعي .



النشاط الرياضي

على اليسار من مبنى كلية الاقتصاد والادارة وبالقرب من حديقة البرتقال والليمون يقع ملعب كرة القدم ، وهناك أيضا ملاعب لكرة السلة ، والكرة الطائرة ، وقاعات لكرة الطاولة ، وتشرف اللجنة الرياضية على مختلف نشاطات الطلبة الرياضية .

أما في حقل النشاط الاجتماعي ، فقد أقيم في الجامعة خلال العام المنصرم عدد من المعارض التي تضم عينات من الانتاج الفني للطلاب والفنون الجميلة والصخور القمرية التي جلبها رواد العربة « أبولو - ١١ » من سطح كوكب القمر . وقد لقيت هذه المعارض اقبالا شديدا من المهتمين بالشؤون الفنية والعلمية . ولا يقل نشاط الطلبة في ميدان الرحلات عن نشاطهم في الميادين الأخرى . وقد قام الطلبة والأساتذة خلال العام الماضي برحلات شملت الأماكن المقدسة ، وغار حراء ، ووادي خليص ، وجزيرة الواسطة ، والرياض ، والمنطقة الشرقية من المملكة . كما ان فريق جولة الجامعة يسهم في النشاط الكشفي ويشارك في مؤتمرات الكشافة العالمية .

هذا ، وتقوم اللجنة الثقافية بتنظيم موسم الحفلات الثقافية ودعوة المحاضرين من كبار الأساتذة والعلماء من عرب وأجانب لالقاء محاضرات وعقد ندوات في مختلف المواضيع والأبحاث التي تهدف الى تنشيط المناخ الثقافي والعلمي للجامعة . وفي ميدان مكافحة الأمية قام الطلبة بالتدريس في الصفوف التي عقدتها الجامعة لبعض مستخدميها .

ويضم نادي الطلاب ثمانى لجان رئيسية ، هي : اللجنة الثقافية ، واللجنة الرياضية ، واللجنة الكشفية ، ولجنة السمر والتمثيل ، ولجنة الرحلات ، ولجنة الآثار ، ولجنة صندوق الطلبة بالإضافة الى لجان فرعية أخرى تضطلع بالدراسات

المكتبات تيسر على الطلاب استقراء الحقائق والمعلومات التي يحتاجون اليها في اعداد أبحاثهم ودروسهم .. وقد بدا في أقصى الصورة أمين المكتبة وأحد المساعدين في الشؤون المكتبية .

الغرض الأساسي لهذا المختبر هو اجراء التجارب العلمية الأساسية في مواد الفيزياء والكيمياء والأحياء لطلبة السنة الاعدادية .. وما يزال هذا المختبر صغيرا ناشئا محدود الامكانيات ، بيد ان الجامعة تعمل على توسعته وتزويده بما يلزمه من أجهزة علمية لمختلف التجارب ليكون فؤاء لمختبر كلية العلوم عندما يتم انشاؤها في المستقبل .

متحف التاريخ الطبيعي

كان لموقع مدينة جدة على ساحل البحر الأحمر الغني بثرواته المائية أكبر الأثر في ابراز فكرة هذا المتحف الى حيز الوجود . فلقد أنشأت الجامعة في العام الماضي متحفا للتاريخ الطبيعي يضم هياكل بعض الحيوانات والأسماك . وقد بلغ عدد قطع التحف في نهاية العام الماضي نحو مائتي قطعة من السمك والطير والحیوان ، من بينها بعض العينات الأثرية . ويضم المتحف قاعات ثلاث ، خصصت احداها للطيور والحیوانات ، والأخرى للأسماك ، والثالثة للجيولوجيا ومنتجات الزيت المثلة في عينات ونماذج كانت شركة الزيت العربية الأمريكية « أرامكو » قد أهدت الكثير

وأعضاء هيئة التدريس والمكتبة . وبين حنايا المكتبة الآن ما ينوف على ٢٣ ألف مجلد ، بالإضافة الى العديد من الكتب والمطبوعات والدوريات . وتتلقى المكتبة باستمرار الكثير من الكتب والمجلدات والمطبوعات على شكل هدايا يتبرع بها المؤلفون أو أصحاب المكتبات الخاصة . وقد ألحقت بالمكتبة وحدة للأفلام المصغرة « المايكرو فيلم » بلغ مجموع أفلامها ١٨٨ فلما منها ٤٦ بالعربية والبقية بالانجليزية .

وتصدر المكتبة نشرات دورية عما يردها من كتب ومجلدات ، كما تقوم بتصوير المخطوطات القيمة في بعض المكتبات المحلية المعروفة . كمكتبة الحرم المكي الشريف ، و « مكتبة عارف حكمت » ، ومكتبة الحرم النبوي الشريف وغيرها توطئة لفهرسة تلك المخطوطات .

تدرك الجامعة ان اجادة اللغة الانجليزية من الأمور الضرورية ، ولذا فانها تركز على تعليم اللغة الانجليزية في السنة الاعدادية عن طريق استعمال معمل اللغة الذي يتسع لنحو ٣٥ طالبا في الحصص الواحدة . والهدف من هذا المعمل هو تمكين الطلاب من التعود على مخارج الكلمات الصحيحة وتحسين النطق .



طلاب أحد فصول الجامعة يستمعون لمحاضرة يلقيها عليهم أحد أساتذة الجامعة في المدرج .

الاسلامية ، وهناك أيضا نادي العلوم ، ونادي اللغة الانجليزية ، ونادي التصوير .
أما في مجال اعارة المدرسين والزيارات فان جامعة الملك عبد العزيز تتعاون مع مختلف الجامعات العربية والأجنبية مثل بغداد ، والخرطوم وكراشي ، وبشاور ، ومجلس الجامعات البريطانية « Inter University Counsel »

تسير الجامعة بخطى حثيثة في ميدان ابتعاث الخريجين الى مختلف الجامعات لمواصلة تخصصهم في مختلف الفروع والأبحاث . وذلك من أجل استكمال الجهاز التعليمي والاداري لمختلف فروع الجامعة ولوكالة التقدم الذي يطرأ على مختلف الأقسام . وقد بلغ عدد المبتعثين للدراسات العليا فسي نهاية العام الماضي (١٣٨٩/١٣٩٠) ستة وثلاثين مبتعثا ، بينهم أربع طالبات . وتقرر ابتعاث أحد عشر طالبا وطالبة لهذا العام الى جامعات بريطانيا والولايات المتحدة من أجل التخصص . وتقوم وزارة المعارف بالانفاق على عدد من المبتعثين عن طريق المنح الدراسية التي تقدمها في هذا المضمار . أما بقية المنح الدراسية فتتولى الجامعة أمر الانفاق عليها ، بالتعاون مع بعض الهيئات والمؤسسات المحلية .
ن.م.

تصوير : علي محمد خليفة



« سلامة الأذهان في سلامة الأبدان » .



تعين طلاب الجامعة بهذا الجهاز الظاهر في الصورة في استيضاح
ة الكتابات المصورة على أفلام مصفرة « Micro Films » .

وقفنا .. مع الشعب الجاهلي

بقلم الاستاذ عبد الكريم الخطيب

على أتم ما يكون وأكمله ! ؟ شعور مرهف ، ووجدان سليم ، وذكاء حاد ، ونظر عميق ، وفراصة صادقة ، وحيوية متدفقة .. ومع هذا فلم يكن للجاهلين تعلّق بأي فن غير الشعر !!

فإن كان لا بد من علّة نذكرها ، أو سبب نرجع اليه هنا ، فانا لا نجد الا الشعر نفسه !! فلقد فتن الجاهليون بالشعر ايما افتتان ، واستطاعوا به أن يملأوا كل جانب من جوانب حياتهم ، وأن يرضوا به كل عاطفة تنبض في كيانهم ، فاستغنوا بفن الكلمة عن كل فن ، اذ كانت أخف محملا ، وأقرب استجابة ، وأكثر طواعية .. يجدونها في الطعن والاقامة ، وفي البدو والحاضرة ، وفي المنشط والمكسل ، يستقل بها الفرد وحده ، دون أن يحتاج الى غيره ، أو يجلس الى من يشاركه ويعينه !!

ذلك أظهر ما نراه من علّة لهذه الظاهرة ، يساندها ما عرف من تمكن الشعر في نفوس العرب ، وشدة وقعه عليهم ، وقوة سلطانه فيهم .. فاليست من الشعر يرفع القبيلة أو يسقطها ، والبيت من الشعر يضع الرفيع ، ويرفع الوضيع . ولقد ترك الشعر صورا رائعة لهذا اللون من ألوانه ، الذي كان له أثر كبير في تغيير مجرى الحياة للكثير من القبائل والأفراد ، والذي ظل متحكما في موازين الناس أجيالا طويلة متعاقبة . لا ينقضها الزمن ، ولا تغير منها الأحداث .

من أجل هذا ، كانت نظرة العرب الجاهلين الى الشعر والشعراء نظرة اعجاب وتقدير عميقين ، فكان اذا ظهر في القبيلة شاعر اعتبر ظهوره

على دنيا الفن كله ، فسكبوا فيه نبضات قلوبهم ، وخلجات صدورهم ، ونفضوا عليه ما في كيانهم من مهارة وحذق وذكاء .

ومن عجب ألا يتجه الجاهليون الى فن كالنحت مثلا ، وألا يكون لهم فيه مكان مرموق بين الأمم التي عالجته وبرعت فيه ، كالفرعنة واليونان ، وفي بلاد العرب جبال وصخور ، جدد بيض ، وحمر مختلف ألوانها ، وغرايب سود ، هي مادة هذا الفن والمغربة به !! وفي حياة الجاهلين أصنام وأبداد متعددة ، يتخذونها من الصخور والأحجار ، ويسونها على الوجه الذي يريدون . من عجب أن تكون مادة النحت ودوافعه على هذا الوجه المتمكن في الجزيرة العربية ، ثم لا يكون للجاهلين اتجاه اليه ، ولا رغبة فيه ، مع توفر الوقت الذي يكاد يكون كله فراغا ! وليس شيء كالنحت ، استفادا للوقت .

ثم الموسيقى !! ما بالهم لم يبرعوا في الألحان ؟ ولم يفتنوا في اختراع الآلات ؟ والحياة من حولهم في سكون شامل ، ووحشة مطبقة ؟ وليس شيء أفعل من الموسيقى لبعث الحياة في هذا السكون ، ولا ألزم منها لتبديد هذه الوحشة .

عن العلة ، أو العلل التي صرفت العرب عن النحت والموسيقى وغيرهما من الفنون ، فلا نجد لها سببا يمكن أن يتصل بالأسباب التي تصرف الأمم عنها . فمادة هذه الفنون عندهم موفورة ، ودوافعها لديهم عقيدة حاضرة ، واستعدادهم الفطري لها

الفترة التي سجلها التاريخ من حياة الشعر الجاهلي ، فترة قصيرة ، لا تكاد تعدّ شيئا الى الحياة الطويلة التي عاشها قبل هذه الفترة المعروفة من حياته .. فهذا الشعر الجاهلي الكثير الذي أمكن تسجيله من أفواه الرواة وصدور الحفاظ ، في عصر التدوين أيام الدولة العباسية ، هو بعض ما حفظ من شعر لقليل من شعراء تلك الفترة ، التي كانت قبيل ظهور النبي بمدة لا يتجاوز مداها القرن أو القرن ونصف القرن على أكثر تقدير . وهو في جملته لا يمثل الا الأسطر الأخيرة في الصفحة الخاتمة ، لكتاب ضخيم ، كان يمكن أن يكون سجلا لهذا الشعر ، لو صادف أمة غير أميّة ، تقيد آثارها وما عملت أبدي أبنائها .

ومن الواضح أن الشعر الذي عرف عن تلك الفترة المحدودة ، اعتبر الصورة الكاملة للشعر الجاهلي . وعن هذا الشعر صدرت آراء النقاد والدارسين للحياة العقلية والاجتماعية ، والاقتصادية ، والسياسية ، للأمة العربية في جاهليتها ، اذ كان هذا الشعر هو وحده الأثر الأول والأخير ، الذي انطبعت عليه السمات الظاهرة والخفية للحياة الجاهلية . فما عرف الجاهليون فنا غير فن الشعر ، ولا أداة غير أدواته ، لتسجيل أحداث الحياة التي يحيونها ، وما يقع في نفوسهم من انفعالات وخوارج ، وتصورات ، فهم لم يعالجوا النحت ولا التصوير ، ولم يعنوا بالموسيقى ، ولا الرسم والزخرفة ، فكان الشعر وحده هو النافذة الوحيدة التي أشرفوا منها

ايدانا بمطلع سعدا ويمولد العزة والسيادة فيها ،
واذا قال الشاعر قصيدة ، وعنها العقول ،
وحفظتها الصدور ، ورددها الألسنة ، وتنقلت
بين القبائل ، فحدا بها الركبان ، وسمر بها
السمار ، وعمرت بها المجالس ، وأصبحت
رواية خالدة تمثل على مسرح الحياة في الجزيرة
العربية كلها .

وقد شك بعض مؤرخي الأدب العربي
في تعليق المعلقة ، وهي أشهر
قصائد قيلت في الجاهلية ، بأستار الكعبة ،
وفي تسميتها بهذا الاسم المشتق من هذا العمل ،
كما شك في تسميتها بالمذهبات ، لأنها كتبت
بماء الذهب ، احتفاء بها ، وتكريما لها .
ولكن الذي يتصور الحياة الجاهلية ، ويعرف
ما كان للشعر من أثر فيها — يقع في يقينه أن هذا
الذي قد يكون الجاهليون صنعوه بالقصائد المشهورة
عندهم ، هو مما يتفق تماما والمكانة التي كانت
لهذا الشعر في نفوسهم ، وأنه ليس في هذا من
غرابية عند قوم لم يكن لهم متعة في الحياة ، ولا
متنفس فيها غير هذا الفن الجميل : فن الكلمة ،
ونظمها في قوالب الشعر !!

كانت قبيلة « تغلب » من أعظم قبائل
العرب ، وأشدها بأسا ، حين أدركها الاسلام ،
وحق أنها — لعزتها وأفتتها — أخذتها العزة بالآثم ،
فاستجبت العمى على الهدى ، وأبت أن تدخل
في الاسلام حين دخل فيه الناس أفواجا ، وآثرت
أن تهاجر من أوطانها وتلحق بقبصر الروم ، حين
فرض عليها عمر بن الخطاب — رضي الله عنه —
أن تدخل في الاسلام ، أو تفرض عليها الجزية
كما تفرض على أهل الذمة ، فلما لم تقبل أي
الأمرين ، وتهيات للهجرة ، رأى عمر أن يمسك
بهذه القبيلة ، ويحتفظ بها في المجتمع العربي ،
وأن يضاعف عليها الجزية !!

هذه القبيلة — وهذا شأنها من القوة
والعزة — كان دستور حياتها ، ومبعث فخرها
وعزها ، هو تلك القصيدة ، التي أنشأها
أحد شعرائها وسادتها « عمرو بن كلثوم »

التغلبى ، وهي إحدى المعلقة أو المذهبات
السبع المعروفة !! فلقد لعبت هذه المعلقة دورا
كبيرا في حياة هذه القبيلة ، وتركت آثارا واضحة
في عواطفها ومنازع تفكيرها ، حتى لقد أقامتها
على هذا العناد الآثم ، والكبر القاتل ، فأغلقت
قلبا وعقلها عن كل نسمة خير تهب عليها .
أو لمعة نور تطلع في سمائها ، لا يكون مصدرها
هذه القصيدة التي تعيش فيها ، وتقتات من ثمرها ،
فلم تستمع لدعوة النبي ، عليه السلام ، ولم تمد
عينها لأنوار السماء ، وفي يقينها أن حبسها أن
تتخذ من هذه المعلقة دستورا لها في كل أمورها .
فموقف قبيلة تغلب هذا الموقف الشاذ من
الاسلام ، دون قبائل العرب جميعا ، انما ترجع
أسبابه في أغلبها الى هذه المعلقة ، وإلى تعلق القوم
بها تعلقا شغلهم عن كل شيء الا ترتيلها ،
والهتاف بها في كل غدوة وروحة ، حتى لقد
نفذت الى صميم عقولهم وقلوبهم ، فأغرتهم
بهذا الكبر الآثم ، وحملتهم على هذا المركب
الصعب ، وباعدت بينهم وبين دين الله الحق .
ولسنا نقول هذا استنتاجا مما عرف عن هذه
القبيلة من موقفها العنادي الذي وقفته من الاسلام ،
وانما ذلك عما سجله الذين شهدوا هذا الحدث ،
ورأوا بأعينهم الآثار الواضحة التي تركتها المعلقة
في هذه القبيلة . وفي هذا يقول أحد الشعراء
المعاصرين لقبيلة تغلب ، والمجاهدين لمجرى
الحياة فيها ، ولسلطان المعلقة على قلوب أبنائها
وعقولهم .. يقول الشاعر :

ألهى بني تغلب عن كل مكرمة

قصيدة قاضا عمرو بن كلثوم
فهذا مثل من أمثلة كثيرة لما كان للشعر
الجاهلي من سلطان قاهر في الحياة الجاهلية .
ولولا أصالة الفن في هذا الشعر ، لما صبر الجاهليون
طويلا عليه ، ولما عاشوا فيه وحده عمرهم كله ،
ولالتمسوا لهم فنا آخر أو أكثر من فن ، يساند
هذا الشعر ، أو يخلفه في التعبير عن مشاعرهم ،
والتفيس عن عواطفهم ، ولكن أصالة هذا الفن ،
قد سدت حاجتهم الفنية ، وأرضت كل مطالب

العقل والقلب جميعا ، فأغناهم ذلك عن أن
يلتمسوا فنا غيره ..

فلمسا أن جاء الاسلام بالقرآن الكريم
وبلاغته المعجزة ، استطاع أن
يخفت صوت الشعر ، فسكنت حسيته في
الصدور ، بعد أن امتلأت القلوب والعقول بمشاعر
العقيدة الاسلامية ، وكان في آيات الكتاب
الحكيم ، وفي ترتيلها على هذا النحو الذي ترتل
به ، ارضاء كامل لحاجة القلب ، وخلجات
الضمير ، لما في آيات الله من ألوان العواطف
الانسانية : من أمل واشفاق ، ورجاء وخوف ،
وتبشير وانذار ، ووعد ووعيد ، وحب وبغض ،
وحرب وسلام .. الى غير ذلك مما ضم عليه الكتاب
الكريم ، وعرضته آياته وسوره ، هذا العرض
المعجز المبين .

ومع الآثار القوية الواضحة التي تركها الدين ،
وكتابه الكريم في عقلية العرب ، وفي مسارب
تفكيرهم ، وفي مجريات تصوراتهم وأخيلتهم ،
ومع ما أفاضت عليهم الحياة الجديدة
من ألوان ومظاهر لم يكن لهم عهد بها ،
ومع العقليات الجديدة التي اختلعت بهم
وحسبت عليهم ، ومنهم ، ومع الثقافات
المتعددة ، والفنون المختلفة التي دخل
بها الداخلون في الاسلام ، من فارس ،
والروم ، والهند ، ومصر ، وغيرها .. مع هذا
كله ، وكثير غيره ، فقد ظل سلطان الشعر
الجاهلي قويا على النفوس ، متمكنا من العقول
والقلوب ، فلم تجد الأمة العربية الاسلامية بدا
من الاحتفاظ به ، على صورته تلك التي وجدته
عليها ، فأقامته على رأس الفنون التي قدر لها في
حياتها الجديدة أن تأخذ بحظها منها ، اذ لم يكن
في مقدورها أن تهيء بأبلغ منه ، اذ كان في أعلى
مستوى يمكن أن يصل اليه الفن العبقري من
فنون القول ، على لسان بشر ! .. وهكذا ظل
الشعر الجاهلي ، وسيظل أبدا — في أنماطه
وصوره — جامعة الشعر العربي ، وملهم الفحول
من شعرائها ■

تعقيب

لقد طالعت العدد الحادي عشر من المجلد الثامن عشر من مجلة قافلة الزيت ، وكلم سررت بالمقال العلمي « حيوانات في صحاري المملكة » غير أنه
توجد غلطة علمية لي التعليق على الصورة المنشورة على الصفحة الداخلية للكتاب الخلفي من العدد نفسه .
فالصورة لا تمثل الوعل الموجود والمعروف في بعض الجبال بالمملكة العربية السعودية وانما تمثل حيوانا آخر يعرف باسم « الخروف الاول Wild Sheep »
وهو غير موجود حاليا في المملكة ، ومن المرجح أن يكون قد انقرض في عصور بعيدة مع حيوانات أخرى مازالت صورها منقوشة على الصخور
الاثريّة القائمة في جهات عديدة ..

حمد محمد العبيدي

مرشد زراعي ورئيس قسم الأسماك

بوزارة الزراعة والمياه — فرع جعدة

فردا الحفر على الخشب



لم يخط سفر عرفان من المنسقة قبيل كتاب الفيلسوفين . فهو من أكثر المؤلفات رواجاً
وأوسعها انتشاراً . أعيدت إشرافاً في مصر سنة ١٢٠٠ . حرك يائنة تحف . ألف في أجواء الخيال وتفنن
بروحانية الشترق وحكماله . فهي تتناول الحظائر والأسرار والجنات . وأخبار الوحوش والكواكب
وأخبار الألف ليلة . وأخبار الكونوزات ومولودها والجوامع والفكرية . كتبت
الفيلسوف وليلة . بأحسن الحجة من الحجة بالحكمة . حرك يائنة تحف . بأحسن
وموسيقاها . فكانت مصدر الهام لكثير من الفنانين والمؤلفين . وقد صدرت منذ
ما يزيد على مائة سنة ترجمت بحداثة لهذا المؤلف إذ كانت الرسوم الفاخرة التي تصور الأحداث
ليست إلا من تصويير . فكانت بمثابة نافذة يطل منها العبد على الشرق .



« المزين البغدادي » ولسان حاله يقول : « أنا الشيخ الصامت » وليس لعمري ومعرفتي
حدود . قرأت الكتب ودرستها ، ومارست الأمور وعرفت ، وحفظت العلوم
وأقنتها ، وتعلمت الصنعة وأحكمتها ، وأنا قليل الفضول ، ولأجل هذا أدعى
بالصامت الرزين » الحفر لفيزي »

شذرا كان « ريتشارد بيرتون » عاكفا
على ترجمته لكتاب « ألف ليلة
وليلة » ، التي حظيت بشهرة واسعة ، لم يفته أن
يضع تعليقا قصيرا عن النيل من ترجمة سبقه إليها
« وليام ادوارد لين » . ويقول « بيرتون » في تعليقه
على ترجمة « لين » التي ظهرت في عام ١٨٦١
أنها لم تلاق ما لاقته من نجاح الا بفضل ما تزدان
به من نقوش قام بتصميمها فنان يدعى « وليام
هارفي » . ومع ما في تعليق « بيرتون » من تحامل
ظاهر على منافسه المستشرق « لين » ، الا أنه
يلقي أضواء على فن الحفر على الخشب الذي
اشتهر به « وليام هارفي » والذي استوحاه من
الليالي العربية التي اتخذها مادة يزين بها رسومه
ونقوشه . فتصاميمه تشمل فن الزخرفة العربي
بجاذبيته وطرافته . والكتابات الكوفية بجمالها
وغرايتها . وقد ازدان مطلع كل فصل من فصول
مجلداته الثلاثة بالزخارف الرأسية والنقوش الصغيرة
التي تصور بايجاز أحداثه وقائمه . وتشهد الرسوم
المنقولة عن تصاميم حفرها « هارفي » على الخشب
على ما بلغه هذا الفن من رقي ورقة باعتباره من
أصعب ألوان الفنون قاطبة وأكثرها دقة وأجملها
تعبيرا .

وفن الحفر على الخشب ليس حديث عهد ،
بل يرجع تاريخه الى زمن المصريين القدماء .
فهم كانوا يحفرون الحروف الهيروغليفية على
قوالب من الآجر ثم يكسبون القوالب على قطع
من الطين . ثم جاء الصينيون واستعملوا الحفر
على الخشب لطبع الرسوم والنقوش المختلفة على
القماش . وبعد عدة قرون استعمل الرومان



« السندباد البحري » وقد تحطمت سفينته في السفرة الخامسة يرى وهو يساعد عجوزا وقد حمله لينقله الى الجانب الثاني من الساقية ، وما درى انه قد حمل « مارد البحر » على كتفيه الذي سرعان ما لف ساقيه حول عنق السندباد محاولا خنقه فمادت به الأرض واسودت الدنيا في وجهه ووقع على الأرض معشبه

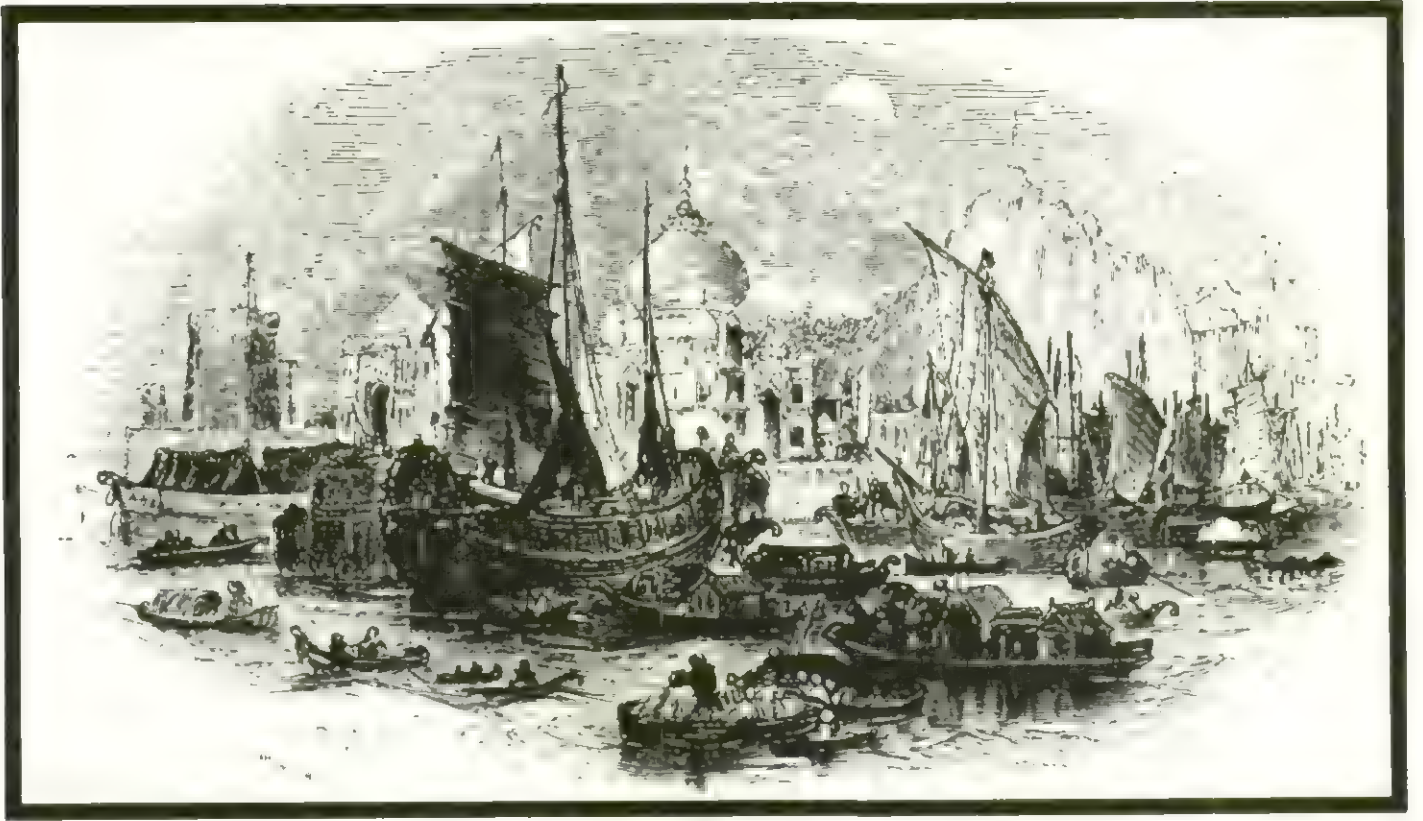


يمتاز كتاب ألف ليلة وليلة بتلك الطريقة الفذة في سرد اخكايات التي يأخذ بعضها في رقاب بعض ، ومنها حكاية « القلندري الثاني الذي كان يعمل حطابا لكسب قوته اليومي .

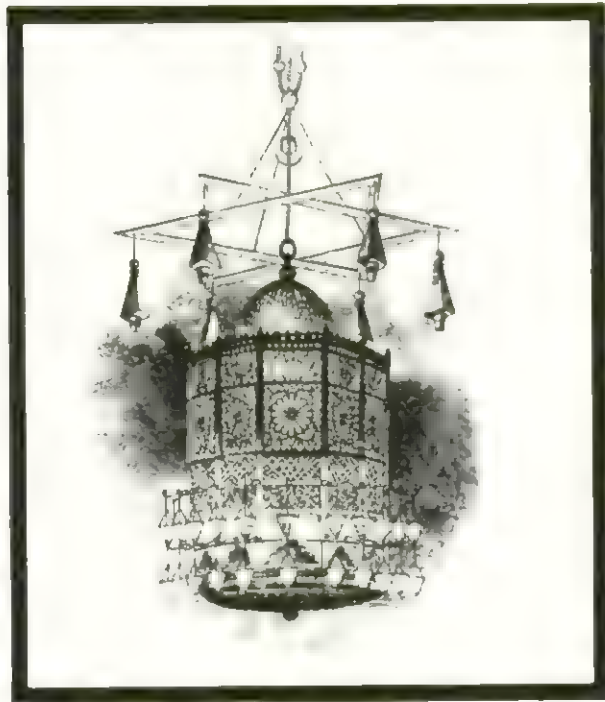
أدوات جديدة مكنت رجال الصناعة من تطوير أسلوب جديد في فن الحفر على الخشب وهو أسلوب يختلف اختلافا بينا عن الأسلوب التقليدي القديم ، فبدلا من قطع الزوائد الخشبية حتى تظهر الخطوط السوداء عند الطبع ، عمدوا الى حفر أخاديد في الخشب على شكل « ٧ » تظهر بيضاء عند طبعها . وهذه هي الطريقة التي يطلق عليها اليوم « الحفر على الخشب » . ومع أن هذه الطريقة لا تضاهي طريقة الحفر على المعدن بوضوح معالمها وجلاء خطوطها ، الا أن تكاليف الحفر على المعدن الباهظة بسبب طبع كل لوحة معدنية على حدة ، من جهة ،

صناعة الحروف المنفصلة . وفي أوائل القرن السادس عشر أدخل « ألبرت دورر » تحسينات جمة على هذا الفن حتى وصل به الى درجة عالية من الرفعة والرقى . الا أن استعمال المعدن وخاصة القصدير بدلا من الخشب في هذا المضمار أدى الى التقليل تدريجيا من انتشار طريقة الحفر على الخشب ، وهكذا تضائل استعمال الخشب في هذا الفن تضائلا كبيرا حتى أصبح فن الحفر على الخشب في بداية القرن الثامن عشر من الفنون الصائفة الى الزوال . ومع مولد الثورة الصناعية التي اجتاحت أوروبا في أواسط القرن الثامن عشر ، ظهرت هنالك

الطريقة نفسها لطباعة الحروف الأبجدية والأرقام . وكان الحرفيون ابان العصور القديمة يعمدون الى قوالب من الخشب ليحفروا على سطوحها رسوما أو أشكالا أو خطوطا بارزة أو عميقة بحبيبات بلورية صغيرة قاسية ، ثم يقطعون الزوائد الخشبية . لتظهر عند طبعها على شكل خطوط سوداء . وكان بالامكان أيضا تحبير تلك النقوش وطبع الرسوم الابضاحية التي تزخر بها الكتب . ومع مرور الزمن حظيت هذه الطريقة برواج كبير وأصبحت تعد الطريقة المثلى ، وبالتالي مهدت الطريق أمام طباعة الكتب على نطاق واسع .. وهكذا تقدمت



« حياة الأجيال السابقة هي خير درس للأجيال القادمة » هكذا قدم وليام لين ترجمته لكتاب ألف ليلة وليلة ، واتخذ من قصة « حسن الصائغ البصري » دليلا على ذلك . « حين أقلع بمركبه من ميناء البصرة ، الدائب الحركة ، فألقت به الأمواج الى جزر « واق الواق » . « الحفر لويمر »



مصباح نححه الطبيعي قام بحفره على الحشب « وليامسون » .



رسمة أخرى ، لإيدير ، محفورة على الحشب تمثل قصة « الملك حيدر » . وهي إحدى قصص « ألف سنة وليلة »



« اكتشاف أرم ذات العماد » التي ورد ذكرها في القرآن الكريم ، والتي يقال أن حصي شوارعها كان من الجواهر النادرة وغيرها من المسك النفيس . ومن غريب الصدف أن يمشر على ذلك الفردوس الأسطوري « عباد الله الجمال » بينما كان يفتش عن جملة الضائع في اليمن . « الحفر لويمبر »

والتحسينات المستمرة لطريقة الحفر على الخشب المعدن . ولم يقتصر عمل هذا الفنان على إنتاج الرسوم الفنية الممتازة ، بل قام أيضا بتعليم هذا الفن الى عدد كبير من التلاميذ البارزين ، أمثال « وليام هارفي » . وقد بلغت تلك النقوش التي صممها « هارفي » حدا من الجمال ، بحيث أصبحت تعتبر من أروع الأمثلة لفن الحفر على الخشب تظهر بين دفتي كتاب . فهي رسوم جميلة الزخرفة مترفة الى أقصى الحدود ، وقد بلغت من الدقة في تصوير حكايات ألف ليلة وليلة حدا جعل كثيرا من الفنانين ينقلون عنها « تابلوهات » محفورة على الخشب . نشرت هذه الصور باذن من « جون برنتون » مس . ن .

والتحسينات المستمرة لطريقة الحفر على الخشب المعدن . ولم يقتصر عمل هذا الفنان على إنتاج الرسوم الفنية الممتازة ، بل قام أيضا بتعليم هذا الفن الى عدد كبير من التلاميذ البارزين ، أمثال « وليام هارفي » . وقد بلغت تلك النقوش التي صممها « هارفي » حدا من الجمال ، بحيث أصبحت تعتبر من أروع الأمثلة لفن الحفر على الخشب تظهر بين دفتي كتاب . فهي رسوم جميلة الزخرفة مترفة الى أقصى الحدود ، وقد بلغت من الدقة في تصوير حكايات ألف ليلة وليلة حدا جعل كثيرا من الفنانين ينقلون عنها « تابلوهات » محفورة على الخشب . نشرت هذه الصور باذن من « جون برنتون » مس . ن .

فجر جديد

للساعرة رومينا الفلبي

تواري دموعي خلف العيون
ولا تحببي بسماتي عداوا
أشكو محال؟ وأبكي حرام؟
وان فؤادي نبع الأبناء
والقاصم وأحبل الدموع
أخاف اذا حذقوا في العيون
فأغضبها حينما للشي
علام الكاء وطول الشجون
اذا زهرة قد ذوت في الخريف
لماذا أجبن على ما ذوى
أعمري ألقبه نهب الظنون
فقلبي شباب وعمري عبر
تلمحي مع الطير طاعة
أحس حينما رعد زعزعا
ويجس في سواد الفكر ههنا
فأحس حينما رعد زعزعا
فقلبي شباب وعمري عبر
تلمحي مع الطير طاعة
أحس حينما رعد زعزعا
ويجس في سواد الفكر ههنا
فأحس حينما رعد زعزعا

لمزة نفسي أبست أن تهون
ومل فؤادي الأسى والآتين
حرام وان طال ليالي الحزين
وفي نضه كبرياء النين
حدثا شجيا رقيق الرنين
تنف وتكشف سري الدفين
ويحرق جفني نار الظنون
وروفي قد هم حن الثنون؟
يهل الربيع يعطر الغصون
على من تواري ومن يبكون؟
ومن قد وفي ومن قد يخون؟
ولنني يخلد بين الثنون
أفني وأهمل غلب المعين
وأشعر حينما نبع القاصم
الزبد حبي مع الخالين
يهرز صدامها هوى التاهرين
حديث الليالي وهمس الحنين
يطير مع النور لا يتكين
يعطر بالك دوب الكون
يردها الفجر للحائرين

الأعيب العقل الباطن وجبلة

بقلم الدكتور الراحل محمد مظهر سعيد

وبعارة أخرى تهيمن النفس العاقلة المدركة «أنا» على النفس البدائية «هي». ولكن العقل الباطن لا يعدم الوسيلة للافلات من هذه الرقابة واصطناع الخيل لاقحام نفسه في مجال الشعور في غفلة من العقل الظاهر.

أطف هذه الخيل وأبسطها فلتات اللسان التي تعبر عن شعور كامن بالقلق بنفس عن نفسه بالظهور. أو رأي صريح تقتصي المجاملة والتفاد الاجتماعي أو الخوف من الجهر به أن يكبت. أو رغبة مكبوتة نتوق لتحقيقها في الحقيقة أو بالخيال. فكثيرا ما يزل اللسان في أحد حروف الكلمة أو الكلمة ذاتها أو الجملة بأكملها فيكون مثارا للضحك أو التندر مما يوقع الانسان في خطأ غير مقصود قد لا يستطيع اصلاحه فيما بعد. ويغيب المعنى الكامن وراء اللفظ الظاهر عن المستمعين. وقد يطلب من الانسان أن يبدي رأيه في موضوع أو يتكلم في حفلة تكريم لانسان أو يرجو انسانا في أمر ما والظروف تحتم عليه أن يقول غير ما يعتقد فيزل لسانه بكلمة مفارقة للموضوع تكشف للملاحظ الدقيق عما في قرارة نفسه.

ومن الأمثلة العلمية على الأعيب العقل الباطن وحيله أن أحد الأساتذة الجامعيين كان يحاضر في اصلاح احدى القرى الريفية ويحاول أن يعطي صورة طيبة للريف ويشير بمستقبل قريب مشرق يعتقد هو أنه صعب التحقيق ان لم يكن مستحيلا. فقال: اني أومل أن تسير بلادي نحو الرقي والتقدم بخطى واسعة في مستقبلها الماضي.

وأستاذ جليل آخر يخاطب في حفل لاحدى الجمعيات الكبرى. ويحث عليه الموقف أن يشيد بالنشاط الرياضي وهو يعتقد أن المدرب مهممل وغير كفء. فيقول: «ولا يفوتني أن أنسى فضل الألعاب الرياضية. بدلا من (أن أذكر)» وتجاوز الحيلة وتضيق الهفوة بين موجة التصفيق. وهناك شخص قدم له على المائدة لفتا مخللا مدحه أصحاب البيت ولكنه وجده رديئا فقال بصفة جادة لا يقصد بها النكتة «وماء الزفت له دواء» بدلا من الجملة المأثورة «وماء الفت» وزار شخص صديقا له يباهي بما عنده في مجموعة تحف أثرية ويبالغ في تقديرها وأراد هذا الشخص أن يجامل صديقه ولكن لسانه زل فقال: «حقا انها لا تساوي على أقل تقدير ألف جنيه» فشكره الصديق ولم يفطن لكلمة «لا».

ومن زلات اللسان التاريخية المثبتة رسميا في محضر جلسة عقدها برلمان ألمانيا، أن رئيس المجلس عند اعلان بدء الجلسة وقد كان يتمنى

عن الانسان في الكثير من المواقف الجادة، وهو في تمام تقدير شعوره وانتباهه. دون قصد أو هدف ظاهر أو سابق تفكير وتدبير وبطريقة عفوية عشوائية، تصرفات تبدو غريبة في وقتها لأنها لا تتصل بالموقف القائم في كثير أو قليل وقد يلحظها غيره من الناس فيخار هو وهم في تفسيرها أو يلحظونها ولا يعبرونها اهتماما لأنها تافهة قليلة الأهمية لا تقدم ولا تؤخر في سياق الموقف وبعدونها هفوات عابرة أو هنات وقد ينسبونها لانشغال البال أو سرحان الذهن أو التعب وبالجملة يحسبونها ضربا من العبث ولا يحسبون لها حسابا.

ولكن علم النفس الحديث اهتم بدراسة هذه الظاهرة وحللها وكشف عن سر خطير يكمن وراءها. والحقيقة الأولى التي هي مفتاح هذا السر، هي أن كل ما يصدر عن العقل البشري من قول أو إشارة أو حركة أو تصرف. مهما بدا في الظاهر تافها لا معنى له. لا بد أن يكون له معنى خفي باطن وهدف مستور يسعى لتحقيقه ولو بطريقة غير مألوفة لا تجذب الانتباه ولا تثير الاهتمام. وقد نجح التحليل النفسي في تفسير هذه الظواهر وتعليلها وردها الى الصراع النفسي بين العقلين الباطن والظاهر. فهي في الواقع من حيل العقل الباطن التي يصطنعها لعبها عن مكتوباته وينفس عنها بأسلوب يفضل به العقل الظاهر فتجوز عليه الحيلة.

والتفسير العلمي يتضمن بالضرورة مصطلحات دقيقة قد تصعب على القارئ العادي مثل الصراع والكبت واللاشعور والقلق والتفيس والتعويض وغير ذلك، ولكننا نستطيع أن نقول في بساطة وإيجاز أن سلوك الانسان تتحكم فيه طائفتان من الرغبات التي تتطلب التحقيق والاشباع: فهناك أولاها الدوافع الطبيعية الأصلية الموروثة التي تدفعه لاشباع الرغبات الحيوية الضرورية التي تمكنه من الكفاح في سبيل العيش والبقاء كمجرد كائن حي. وهذه الدوافع الموروثة البدائية تجعل سلوك الانسان بالضرورة بدائيا لا يرضى عنه أي مجتمع يكون الفرد عضوا فيه. وثانيها الدوافع الرامية الى تحقيق حاجات ورغبات مكتسبة في المجتمع الذي يعيش فيه بالأساليب التي يرضى عنها المجتمع وتتفق مع قوانينه وتقاليده وآدابه العامة. والدوافع الأولى يتحكم فيها ما يسمى «العقل الباطن»، والثانية يتحكم فيها ما يسمى «العقل الظاهر». وتقضي ظروف الحياة الاجتماعية أن يحد العقل الظاهر من السلوك العدواني وينصب نفسه رقيباً على العقل الباطن ليمنعه من أي سلوك يبدو في ظاهره خارجا على أصول المجتمع،

أن يعطل المجلس لأنه كان يعرف أن الامبراطور يريد حمل الأعضاء على الموافقة على اعلان الحرب على فرنسا فقال : « يا حضرات الأعضاء المحترمين أعلن قفل الجلسة ، أقصد فتح الجلسة » وبهذه الزلة أرضى ضميره .

وكثيرا ما يحدث في شهادة الشهود عندما يفاجأ الشاهد بسؤال غير متوقع فيجيب على البديهة ثم يسرع في التو بتغيير الجواب . والجواب الأول أصدق بطبيعة الحال ، والعامة تقول - « كلمة الحق طلعت » . والنوع الثاني من الحيل هو فلتات القلم - وهو يفوق فلتات اللسان أهمية لأنه حجة تسجل على الانسان بشعوره الباطن الخفي بخط يده . وتمثل هذه الظاهرة العجيبة في أن يزل القلم فيكتب كلمة في غير موضعها أو يخطئ في هجائها وهو عليم بصحتها أو يضع اسما بدلا من اسم آخر ، أو يضيف كلمة ليس لها محل في الجملة أو يخطئ في الأرقام والتواريخ والعناوين . وفي كل ما نكتبه من خطابات ومذكرات وتقارير ومقالات أمثلة عملية كثيرة لهذه الفلتات ولكننا لا نفطن اليها ، وإذا فطنا اليها صححناها ببساطة دون أن ندرك ما يقصده العقل الباطن بها . فالآنسة التي تحب أحد أقاربها ولسبب ما تكتم هذا الحب يضيق العقل الباطن بهذا الكتمان ويكاد يتفجر فيحملها على أن تستهل خطابها الجاد له بعبارة « عزيزي حبيبي » بدلا من « عزيزي عفيفي » .

خطي الناس في التاريخ فيعصمهم مثلا يظل يؤرخ بالعام المنصرم رغم حلول العام الجديد . والبعض الآخر يستعجل العام فيؤرخ به قبل حلوله . وليس هذا سهوا أو اهمالا أو جهلا بالتاريخ وانما هو خطأ يتعمده العقل الباطن ليعبر به عن حكمه على العام الحاضر وما يرحوه في العام المقبل . فالشخص المطمئن الى عامه هذا ويرجو أن يستمر على ما هو عليه يظل يؤرخ به مدة طويلة حتى بعد انتهائه . أما الذي يضيق بعامه الحالي ويرجو الخير في العام المقبل فيستعجل الأمور ويؤرخ بالعام الجديد قبل حلوله . والشخص الذي يكلف بكتابة موضوع أو تقرير يشمل عدة فقرات أو بنود تتطلب ١ ، ٢ ، ٣ الخ أو أولا وثانيا وثالثا ، والعقل الباطن لا يرتاح اليه ويود الاسراع في انجازه يفلت القلم فيكتب (١٠) أو عاشرا بدلا من (٥) أو خامسا . والمتتبع لأخطاء الصحافة والكتب المطبوعة يجد فيها أخطاء كثيرة بعضها بعيد عن الموضوع وغير مفهوم وبعضها يثير الضحك ، ولكننا نمر عليها مر الكرام ونقول عنها ببساطة « أخطاء مطبعية » في حين أنها تكشف عن نفسية الكاتب أو جامع الحروف ورأيه الصريح في الموضوع . وقد نشرت إحدى الصحف هذه الجملة « فلان يبحث عن السهرة عن طريق الاكلان » والاكلان في اللهجة المصرية هو حشرة البق ، وأصل العبارة يبحث عن الشهرة عن طريق الاعلان . ولو بحثنا حالة جامع الحروف لوجدنا الوصف ينطبق على حياته .

وفي هذا القليل أخطاء القراءة ، فكثيرا ما يخطئ الانسان في قراءة كلمة ويراها فعلا كلمة أخرى وهو سليم النظر كامل الشعور والخط كبير واضح . فقد قرأت مرة كلمة مطعم - مكتوبة بخط كبير على لافتة فوق أحد المحلات فدخلت لتناول الطعام ، ولشدة دهشتي وجدت المكان مطبوع وليس مطعما كما قرأت فخجلت وطلبت طبع بعض البطاقات . وكثيرا ما يتجلى شعور الانسان الباطن نحو كتاب يقرأه فيخطئ في قراءة أرقام الصفحات فان كان الكتاب طريفا شيقا بحيث لا يمل القارئ قراءته قرأ رقم ٩٥ على أنها صفحة ٥٩ وبالعكس اذا كان الكتاب

ملا يود أن ينتهي منه القارئ بأسرع ما يمكن . وفي الكتاب الممل قد يقرأ الانسان أواخر الجمل وأواخر السطور قبل أوائها فاذا وصل الى هذا الحد من الخطأ في القراءة فيحسن به أن يقف قبل أن يقتله الملل وتملكه السآمة . واتقاء لشر فلتات القلم يحسن كذلك أن يعيد الانسان قراءة ما يكتبه قبل اطلاق الغير عليه حتى لا تفلت منه كلمة تعبر ولو بطريقة غير مباشرة عن شعور أو رأي كان يجب أن يخفيه .

ومن أعجب حيل العقل الباطن للتخلص من المواقف والتصرفات التي لا يرتاح اليها ، ولكن العقل الظاهر يرغمه عليها لاعتبارات اجتماعية ، النسيان المقتعل . فالانسان ينسى دائما المواعيد التي يجب أن يسدد فيها ديونه والمبالغ المطلوبة منه ، ولا يذكر أين وضع الأوراق الخاصة بدفعها ، في حين انه قد يذكر دائما ما له من مبالغ وديون على الآخرين ويعرف مواعيدها بالضبط . وهو في الواقع لا يقصد التضييل ولا يدعي ضياع الأوراق ، وهو عليم بمكانها ، ولكن عقله الباطن يخفيها عنه في غفلة منه وينسيه موضعها ، كأنه يعز عليه أن يذهب عنه المال . ويفقد الانسان الهدايا التي قدمها له أقاربه وأصدقاؤه الى حين من غير أن يشعر وذلك عندما تتوتر العلاقة بينه وبينهم لسبب ما ، فاذا زال السبب وجد الشيء المفقود أمامه لفرط دهشته .

وقد يصل الانسان خطاب عن مسألة عاجلة يطلب منه قضاؤها فينسى ، واذا ذكره بعد حين ، وهم بالرد عليه ، لم يجده في موضعه . واذا وجده وكتب الرد بالفعل نسي أن يرسله ، وقد يضع عليه طابع البريد ويلقي به في جيب معطفه أو درج مكتب ، ويبقى هناك الى أن يتذكر مرة أخرى أو يلحقه خطاب تذكير واستعجال . وقد يصل الأمر الى عدم كتابة العنوان على الظرف أو اسم المكان المرسل اليه أو يكتبه خطأ . وهذه حيل يحاول بها العقل الباطن أن يعطل الرد ان كان الانسان في قرارة نفسه يكره صاحب الخطاب أو لا يرتاح للقيام بالعمل الذي كلف به وبهذا يكون العقل الظاهر قد أدى واجبه بكتابة الخطاب وحقق العقل الباطن رغبته في التعطيل .

وقد يكون على موعد مهم مع أحد الناس لقضاء مهمة ضرورية وعلى الرغم من أهمية الموضوع فانه ينساه ولا يذكره الا بعد فواته أو يذهب اليه في غير اليوم أو المكان المحدد ، اذا كان لا يرتاح لصاحب الموعد أو يخشى نتيجة المقابلة أو على الأقل لا يطمئن ، ويبرئ العقل الظاهر نفسه ويلوم صاحبه على اخلاف الموعد ويستشهد ببعض من قابله في المكان ثم يبدي دهشته للخطأ ويعتذر ، وهكذا يرتاح كل من العقل الظاهر والعقل الباطن لما فعل . وكثيرا ما يركب الانسان وسيلة انتقال غير موصلة للمكان المقصود ، ويفعل هذا كثيرون من ذوي الأجر المحدود سهوا دون وعي في يوم صرف الأجور بدافع خوف العقل الباطن من المطالب المرهقة من الزوجة والأولاد والدائنين ، وبهذا يجد العقل الباطن مخرجا من الأزمة المنتظرة ولو بارجائها مؤقتا .

وكل هذه في الواقع فلتات أو هفوات قد تبدو لنا بسيطة عادية قليلة الخطر ولكنه يترتب عليها أحيانا نتائج سيئة وأقل ما فيها انها مقياس صحيح لشعورنا الباطن وعلاقاتنا الخفية بالأشخاص الذين تربطنا بهم هذه الأمور ، فعلينا أن نلاحظ أنفسنا وندرس هفواتنا وزلاتنا ، وأن نحاول ادراك المعنى والمهدف الكامن وراء السلوك الظاهر لنعرف حقيقة مشاعرنا ونصفي نفوسنا ونصلح علاقاتنا بالناس حتى نتجنب على قدر المستطاع الأعياب العقل الباطن وحيله ■



أحد قوارب الجر التابعة لأرامكو يساعد في ارساء ناقلة عملاقة في المرسى المحدد لها .

الاعمال البحرية
في صناعات النفط



الصنديل البحري « كوين ماري » يرفع « مصيدة - Trap » ضخمة تزن ٢٥٠ طنا ، وتظهر ضخامة حجمه بالمقارنة الى حجم قارب الجر الظاهر في يمين الصورة .

ميناء رأس تنورة البحري ، وليفرغ البعض الآخر حمولاته من السلع والبضائع في ميناء الدمام لسد حاجات المنطقة التي بدأت الحياة تدب فيها نتيجة لتوسع صناعة الزيت التي أخذت تزدهر تدريجيا وتتطور بسرعة مذهلة .

ولم يكن آنذاك على هذا الساحل الشرقي من المملكة العربية السعودية موانئ تصلح لاستقبال السفن ، راح الجيولوجيون والمهندسون منذ أواخر عام ١٩٣٤ ينظرون في أمر اختيار موقع مناسب لاقامة قرضة بحرية عليه . فقاموا بأخذ صور جوية ورسم خرائط طبوغرافية للأماكن المناسبة لهذا الغرض . وقد تعددت الآراء حول هذا الموضوع الى أن استقر الرأي على رأس تنورة لتكون ميناء بحريا لشحن الزيت الخام .

كانت تلك القوارب الشراعية تستخدم في نقل المواد الغذائية ومعدات التنقيب والحفر من البحرين الى « الجبيل » ، لتتولى نقلها فيما بعد سفن الصحراء « الابل » الى فرق الجيولوجيين العاملة في أماكن مختلفة من المنطقة الشرقية للمملكة العربية السعودية .

وفي عام ١٩٣٨ ، وبعد نحو خمس سنوات من الجهد والبحث والتنقيب شاء الله أن يتدفق الذهب الأسود من ينابيعه ، ويتفجر من مكانه حاملا معه بشائر الخير والبركة لهذه البقعة من الأرض . ولم تمض بضع سنوات على اكتشاف الزيت حتى بدأت طلائع السفن تغد الى المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية من مختلف أنحاء العالم ليحمل بعضها الذهب الأسود من

ما أدركنا عقارب الزمن الى نحو ٤٠ سنة خلت ، وجدنا أن القوارب ذات الأشرعة المثلثة كانت السائدة في مياه الخليج العربي . وقد أقل أحدها الرعيل الأول من الجيولوجيين من البحرين ورسا بهم في قرية « الجبيل » الواقعة على الساحل الشرقي للمملكة العربية السعودية . أولئك الجيولوجيون ، التابعون لشركة « كازوك » سابقا ، شركة الزيت العربية الأميركية « أرامكو » حاليا ، كان يحلمهم الأمل في احتمال وجود الزيت في هذه المنطقة التي لا تبعد كثيرا عن البحرين التي اكتشف فيها الزيت من قبل . وقد عزز ذلك الاحتمال وقوعهما في منطقة جيولوجية واحدة وتشابه طبيعة أرضهما الى حد بعيد .

الزمن

بدأ العمل في انشاء فرضة في الجهة الغربية من ميناء رأس تنورة البحري في شهر أكتوبر عام ١٩٣٨م الى امتداد ١٥٠ قدما ، ثم زيدت فيما بعد حتى أصبح طولها ٣٠٠ قدم . وكانت أول ناقله زيت تؤم هذه الفرضة البحرية هي « د . ج . سكوفيلد » التابعة لشركة ستاندر كالفورنيا للزيت وذلك في مطلع مايو ١٩٣٩ . وقد جرى شحنها بالزيت وسط احتفال كبير ، شهده المغفور له جلالة الملك الراحل عبد العزيز آل سعود . وتستخدم الفرضة الغربية من الميناء البحري في رأس تنورة الآن لتزويد مراكب « أرامكو » بالوقود ، بالإضافة الى كونها مركزا لحركة الصنادل وقوارب الجر والسحب المختلفة التابعة لها .

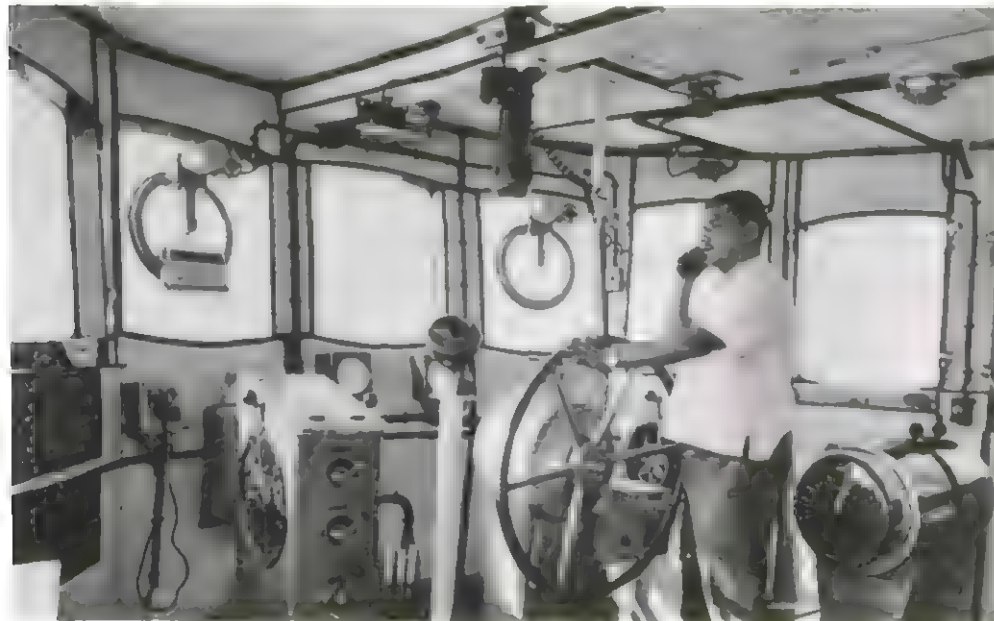
وصف فرضة جنوبية في ميناء رأس تنورة لاستقبال ناقلات الزيت المتوسطة الحجم . ويتراوح عمق الماء في هذه الفرضة بين ٣٠ و ٣٥ قدما ، وهي تضم أربعة مراس . وقد كانت عملية تعبئة الناقلات بالزيت الخام ومنتجاته آنذاك تتم بواسطة خراطيم ضخمة .

وفي عام ١٩٤٨ أصبحت الحاجة ماسة لبناء فرضة أخرى لمواجهة الطلب المتزايد على الزيت . فشرع في انشاء فرضة شمالية يضم رصيفها ستة مراس مزودة بأذرع خاصة تعرف باسم « شكسان » لتعبئة الناقلات . ومن هذه الفرضة تشحن الناقلات بالزيت الخام وزيت الوقود والديزل والفثا ووقود الثقافات وغاز البترول السائل . ويتراوح عمق الماء في هذه الفرضة بين ٤٥ و ٥٠ قدما . وعلى الرصيف توجد غرفة للعدادات ، ومقاييس للضغط ، وصمامات يتحكم المسؤولون بواسطتها في تحميل كيات الزيت أو منتجاته المطلوب ضخها الى خزانات الناقلات .

ومع بدء ظهور ناقلات الزيت الضخمة التي تربو حمولتها على ١٥٠.٠٠٠ طن بنت « أرامكو » عام ١٩٦٤م جزيرة اصطناعية على بعد كيلومترين من الفرضة الشمالية من ميناء رأس تنورة البحري في مياه يبلغ عمقها نحو ٨٥ قدما . ويبلغ طول هذه الجزيرة ١١٧٧ مترا ، وتضم ستة مراس . وتمتد الى هذه الجزيرة أربعة خطوط أنابيب من ساحة الخزانات تتراوح أقطارها بين ٣٢ و ٤٢ بوصة ، وهناك خط أنابيب آخر لتزويد الناقلات بزيوت الوقود اللازم لها . ويتم الانتقال بين الفرضة والجزيرة بواسطة زوارق تعرف لدى مستخدميها باسم « تكسي الجزيرة الاصطناعية » .



- ١ - ثلاثة قوارب جر تقوم بسحب منصة الحفر البحرية رقم ١ - ونقلها الى موقع آخر للبدء في عملية حفر بئر جديدة في المنطقة المنصورة بالمياه .
- ٢ - ملاحو أحد قوارب الجر وهم منهمكون في عملية ربط إحدى ناقلات الزيت لدى رسوها في الميناء .
- ٣ - تزود قوارب الجر بأجهزة اتصال لاسلكي حديثة ، ويبدو هنا أحد مرشدي السفن يقوم بالاتصال بأحدى الناقلات المرتقب وصولها الى ميناء رأس تنورة .
- ٤ - المرشد أحمد القديسي وهو يصعد الى سدة ناقله زيت في طريقها الى الجزيرة الاصطناعية ليتولى قيادتها وأرساءها في المرسى المعين لها .
- ٥ - يستعين هذا القبطان السعودي بجهاز الرادار المزود به قاربه للتأكد من مدى سلامة الأحوال الجوية لتأمين وصول الناقلات الى الميناء .



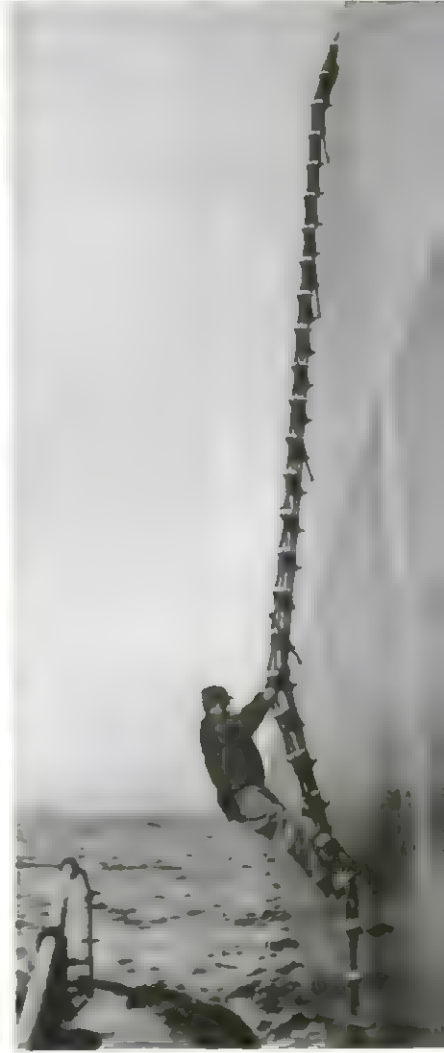
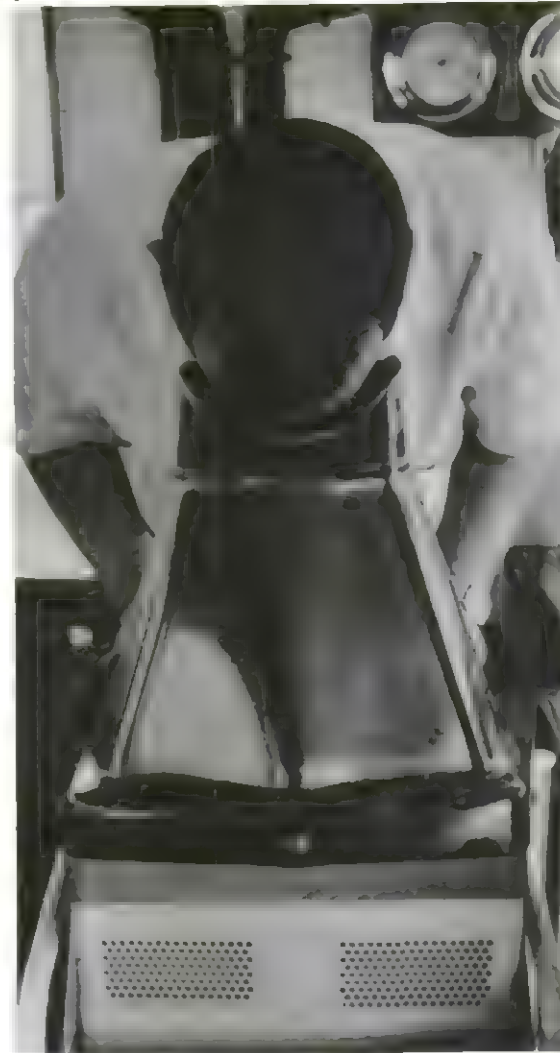
وجدير بالذكر أن الجزيرة الاصطناعية تضم مرافق كاملة للسكن تستعمل في حالات الطوارئ وفي الظروف الجوية السيئة .

ومع التوسع في أعمال الحفر في المناطق المغمورة انحسر عالم القوارب الشراعية تدريجيا .. فالمعدات الضخمة وأجهزة الحفر الثقيلة تتطلب صنادل ضخمة لنقلها من مكان الى آخر . كذلك تحتاج ناقلات الزيت ، التي تقصد ميناء رأس تنورة ، الى قوارب جر قوية تساعد على ادخالها في المراسي المخصصة واخراجها منها . وهكذا توفر في رأس تنورة عدد من الزوارق والصنادل وقوارب السحب التي تستخدم في أغراض شتى . وقد بلغ عدد المراكب التي استخدمتها الشركة منذ بدأت أعمالها ٧٦ مركبا . ولديها الآن ١٣ زورقا ، و ٦ قوارب للسحب ، وقاربان للتموين وأربعة صنادل ومعظمها مصمم بحيث يمكن تحويلها واستخدامها في الأعمال المختلفة التي تتطلبها عملية تصدير الزيت وعمليات الانتاج من المنطقة المغمورة التي تزداد بشكل مطرد .

فالزوارق تستعمل لنقل الموظفين الى الجزيرة الاصطناعية وإلى منصات الحفر البحرية وإلى معمل فرز الغاز من الزيت في منطقة السفانية ، وكذلك الى مواقع أعمال المسح البحري وخدمات صيانة آبار الزيت المغمورة بالمياه ، بالإضافة الى مساعدة رجال الغوص ، ونقل مرشدي السفن الى الناقلات واعادتهم منها الى القرصة . والجدير بالذكر أن هذه الزوارق مجهزة بأدوات حديثة للملاحة وأجهزة الاتصال اللاسلكي ، وهي تتسع لثلاثين راكبا تقريبا . وتتراوح قوة محركاتها بين ٣٣٠ و ١٢٠٠ حصان ميكانيكي ، وسرعتها بين ٨ و ٢٢ ميلا بحريا في الساعة .

أرساء قوارب الجر فيقتصر استخدامها على عمليات ارساء الناقلات واخراجها من مراسيها ، وعلى قطر منصات الحفر من موقع الى آخر ضمن المياه الإقليمية للمملكة العربية السعودية في الخليج العربي . وتتراوح قوة هذه القوارب بين ١٥٠٠ و ٤٠٠٠ حصان ميكانيكي . هذا وقد أضيف الى اسطول قوارب الجر مؤخرا قارب قوته ٤٠٠٠ حصان لمساعد في عملية ارساء الناقلات التي يتراوح معدل حملتها الساكنة بين ١٥٠٠٠ و ٣٠٠٠٠ طن واخراجها منها .

أما قاربا الترمين فيستخدمان في تزويد العاملين على منصات الحفر البحرية والجزيرة





قارب جر يتجه لاداء مهمة منوطة به ، والجدير بالذكر أن قباطنة قوارب الجر جميعهم من العرب السعوديين .

الناقلة الضخمة « بالطمأ » أثناء ارسائها في الجزيرة الاصطناعية برأس تنورة بمساعدة قاربي الجر « بقيق-4 » و « بقيق - ٦ » .



ناقلات الزيت تحمل زيت المملكة العربية السعودية من القرصة الشمالية لميناء رأس تنورة البحري الى الأسواق العالمية .

الاصطناعية ومعمل فرز الغاز من الزيت في السفانية بالماء الصالح للشرب والماء العادي ، والأطعمة والديزل ، وقطع الغيار الصغيرة ، والمعدات المختلفة . وتبلغ سرعة الواحد منهما نحو ١٢ ميلا بحريا .

أما الصنادل فتستعمل لنقل أجهزة الحفر في المناطق المغمورة ، ونقل معدات الحفر الثقيلة ، كأنايب التغليف والاسمنت وطبن الحفر والمواد الكيماوية . كما أنها تستخدم لمد خطوط الأنابيب في المناطق المغمورة بالمياه . وأضخم هذه الصنادل حجما هو « كوين ماري » الذي يتألف طاقمه من قبطان وأربعة عشر بحارا ، ويبلغ عمق غاطسه نحو ثمانية أقدام ، وطوله ٢٥٢ قدما وعرضه ٧٢ قدما . ويحتاج هذا الصندل الى قارين أو ثلاثة لسحبه الى مناطق

العمل المخصصة له . وما يزيد في أهميته أنه مزود في مؤخرته برافعة يبلغ علوها ١٣٠ قدما ، وطاقنتها ٢٥٠ طنا . وهي تستخدم في الحفر واصلاح الآبار ومد خطوط الأنابيب . إلا أن عملها الرئيسي ينحصر في رفع الأحمال الثقيلة ، وكثيرا ما يستعان بها في انتشارال الزوارق أو قوارب الجر وانزالها على الرصيف لاجراء أعمال الصيانة اللازمة لها .

وبالاضافة الى الأجهزة والمعدات الثقيلة المزود بها هذا الصندل فإنه يضم مرافق سكنية وقاعات للطعام ومطابخ وغرف ألعاب ومكتبة وصالة لعرض الأفلام ، ويتسع لـ ١٤٠ شخصا . وجدير بالذكر أن محرك هذا الصندل يولد طاقة كهربائية كبيرة .. فقد حدث منذ سنوات أن تعطلت المولدات الكهربائية في حي السكن في السفانية ،

فرسا الصندل على الشاطئ وبدأ يمد الحبل بالكهرباء مدة ٤٠ يوما ليل نهار ، الى أن تم اصلاح المولد المعطوب واعادته الى حالته الطبيعية . وتقديرا للمسؤولية الضخمة التي تتطلبها عملية ارشاد السفن والناقلات العملاقة ، وهي عملية دقيقة تحتاج الى مهارة وخبرة ، فإن شركة الزيت العربية الأمريكية تبتعث بين الحين والآخر بعضا من موظفيها السعوديين في دورات تدريبية الى الولايات المتحدة الأمريكية يتلقون خلالها دروسا في كيفية استخدام أجهزة الرادار والمعدات البحرية ، بالاضافة الى التدريب العملي ■

سليمان العتيبي

تصوير : شيخ أمين



قوارب الجر والارشاد تكون دائما رهن اشارة المسؤولين في قسم النقل البحري بميناء رأس تنورة .

النظامي الكنجوي ومجنون ليلى

بقلم الاستاذ نباني صدقي

« الأغاني » لأبي الفرج الأصفهاني يشير الى أن المؤرخ ابن الكلبي ، أي هشام بن محمد الكلبي ، يقول أن قيس بن الملوح شخص وهمي ، وهو نسج خيال فتى من بني أمية كان يهوى ابنة عم له ، وقد بث في مجنون ليلى قصة عشقه الذاتية .

ومهما كان الأمر فإن قصة مجنون ليلى هي تراث أدبي رائع اشترك فيه غير أديب وشاعر ، وصالت فيه وسجات غير مخيلة ، وهو يأتي في طليعة الروايات الشعرية ، ودرة في تاج القصص الرومانسية ، وأصبح مصدر وحي لكثير من شعراء المسلمين والفرنجة .

فالرواية العربية لمجنون ليلى هي مجموعة حوادث مجزأة ، ومشاهد منفردة ، تروى على السنة عدد كبير من الشعراء والرواة والمحدثين ، لكنها تؤلف كلها وحدة روائية ، وتلخصها بهذه الفقرات للوصول الى منظومة النظامي :

— ميلاد الحب بين قيس ابن الملوح وليلى العامرية في سني الطفولة ، ويذكر عادة أنهما كانا يريان الأبل معاً عند جبل التوباد .

— محاولة والد قيس انقاذ ابنته المحب بتحقيق أمنيتها ، إلا أن والد ليلى يرفض زف ابنته الى قيس لأن الفتى يملك مسلحاً لا يليق بليلى وقيبتها .

— تهدة خاطر قيس ورحلته الى مكة المكرمة ، ودعاؤه عند ستار الكعبة لبقاء حبه لليلى قويا ثابتاً .

— هرب المجنون وهو في طريق عودته من مكة ، وتشرده في هضاب نجد .

— التقاء المجنون بنوئل بن مساحق ، ومحاولة هذا القناع والد ليلى ، دون اللجوء الى القوة ، بضرورة زف ابنته الى قيس .

— جنون قيس ، وتشرده في الصحاري والقفار ، هذا الجزء من الرواية زاه ، ويتضمن مشاهد متعددة مثل اقدم قيس على اطلاق سراح الغزلان ، وحديث المجنون الى الغراب ، وغير ذلك .

— زواج ليلى من ورد بن محمد العقبلي ، أحد فتيان بني ثقيف ، ولقاء المجنون بهذا الفتى .

— حياة المجنون في الصحراء ، ومجيء محبي الشعر اليه لسماع أشعاره وتدوينها .

— موت المجنون . وهذه النهاية لم تأخذ شكلاً معيناً ، فبعض المصادر يقول أن أهله وجدوه ميتاً في كهف ، وغيره يقول أن قيساً مات على قبر ليلى ،

ضافية عن النظامي وحياته وشعره ، أما ترجمة منظومة « ليلى ومجنون » الكاملة للنظامي فقد عثرت عليها في كتاب بالانكليزية للمستشرق الانكليزي جيمس اتكينسون (James Atkinson) .

أول ترجمة الانجليزية لـ « ليلى والمجنون »

نشرت هذه الترجمة الشعرية في لندن سنة ١٨٣٦ ، وهي لا تقل في قوتها ودقتها عن ترجمة « فيزجيرالد » لرباعيات الخيام ، ونظامها بالانكليزية هو طيب ومؤلف ، وشاعر ، ومترجم ، ورسام ، عمل في خدمة شركة الهند الشرقية طبيباً وجراحاً سنة ١٨٠٥ ، وهو يجيد الهندية والفارسية ، وله ترجمات ومؤلفات عديدة .

وقد استند في عمله الأدبي هذا الى مخطوطة فارسية نادرة يرجع تاريخها الى سنة ٨٩٧١ (١٦٥٣م) ومزينة بطريقة هندية نفيسة .

وقد تول ابنه جيمس اتكينسون ، اعادة طبع منظومة والده سنة ١٨٩٤ ، وهو يقول في المخطوطة الفارسية انها مقسمة حسب الفصول التالية :

- * والد المجنون يتوجه به الى الكعبة .
- * ليلى في غياض الخيل .
- * نوئل يهاجم قبيلة ليلى ، والمجنون يلقي الحجارة على جيوش نوئل .
- * المجنون ينقذ الوعل من الصياد .
- * زواج ليلى من ابن سلام .
- * المجنون يصادق الوحوش .
- * سلطان سرو يلقي الشاب وهو مقيد اليدين والقدمين الى الكلاب ، وهذه لا تؤذيه .
- * سليم - ناقل اشعار المجنون - يتحدث اليه .
- * المجنون يموت عند قبر ليلى .

وتستهل منظومة النظامي بمقدمة صوفية ، وتقع في ١٢٢ صفحة من الحرف الصغير .

الرواية العربية لمجنون ليلى

تذكر بعض مصادر الأدب العربي أن مجنون ليلى شخص حقيقي ، وتروى تاريخ وفاته الى سنة ٥٧٠ (٦٨٩م) وتحدد نسبه فتقول هو قيس بن الملوح ابن مزاحم بن عدس بن ربيعة بن جمدة بن كعب ابن عامر بن صعصعة ، في حين أن كتاب

لقد عالج قصة مجنون ليلى عدد من شعراء اللغتين الفارسية والتركية القدامى ، واتخذوها مادة طيبة لاطهار كل ما يملكون من بيان وبلاغة ، وحسن تصوير وتصوير ، وكان أول من وضع القصة بالفارسية هو النظامي الكنجوي ، ثم تبعه مقلداً عبد الرحمن الجامي المتوفى سنة ٨٩٨ ، ومير عليشير نوائى المتوفى سنة ٩٠٦ وغيرهما ..

النظامي الكنجوي

ولد النظامي في « كنجة - Canjah » سنة ٥٥٣٥ وتوفي سنة ٥٥٩٩ (١١٤١ - ١٢٠٢م) ، وكانت مدينة كنجة ولتند تابعة لفارس . وحين احتل الروس تلك الأصقاع سنة ١٨٠٤ جعلوا اسمها اليزايت بول (Elisabetpol) تخليداً لذكرى « اليزايت بترونا » ابنة بطرس الأكبر ، وحين اندلعت ثورة ١٩١٧ الروسية وبلغت أجزاء الامبراطورية الروسية الشرقية ، قامت على الأثر هناك جمهوريات جديدة منها جمهورية أذربيجان ، وكانت مدينة اليزايت بول أو كنجة من أعماطها ، فتغير اسمها الى « كيروفاباد » تخليداً لذكرى سرجي كيروف (Sergey Kirov) أحد كبار المسؤولين في لستفرد .

واسم النظامي الكامل هو نظام الدين أبو محمد الياس بن يوسف الكنجوي . وهو شاعر عظيم ، ووصاف مبدع ، وقاص مجيد ، له أحد عشر مؤلفاً منها « ليلى ومجنون » نظمها سنة ٥٥٨٤ (١١٨٨م) ، بطلب من الأمير شيروان حاكم آخستان ابن منوچهر الفارسي ، وطبعت في طهران سنة ١٣١٥ (١٨٩٦م) .

ولم أقع على ترجمة عربية شعرية لمنظومة النظامي في مجنون ليلى ، باستثناء ترجمة فقرات نثرية وردت في كتاب « نظامي الكنجوي » للدكتور عبد المنعم حسنين ، وترجمة صفحة واحدة منها وردت في كتاب « تاريخ الأدب في إيران » للمستشرق ادوارد جرانفيل براون (Edward Granville Browne) نقله الى العربية الدكتور ابراهيم الشواربي ، إلا أن المصادر الأذربيجانية المترجمة الى الروسية ، وكتاب « النظامي الشاعر الأذربيجاني العظيم » للمستشرق الروسي أفينيي ادوارد وفيتش برتلس (Edward Ovich Berte is) ، قدمت للقراء معلومات



فليل هنا تدعن من جهة لارادة والدها مكرهة ، وتنسب عن غمها خفية ، لكنها تدافع من جهة أخرى عن عفتها بحزم ، فيتدخل الزوج عن كل محاولة للاقتراب منها .. ثم يموت الزوج ابن سلام كنتيجة لرغبة لم تتحقق .

ويترأى لليل أن جميع العقبات قد انهارت في سبيل الحل السعيد ، الا أن هذه النتيجة جاءت متأخرة ، فالحب أصبح روحيا ، والسعادة الأرضية باتت مستحيلة .

وفي هذه المعالجة للموضوع أثر واضح للصوفية ، فليل تعيش لروحها فقط ، والمجنون يظهر في دور انسان استطاع أن يتغلب على رغباته الجسدية .

وتختتم قصيدة « ليل ومجنون » للنظامي بقصول عن موت ليل ، بعد أن غدت حياتها لا هدف لها ، ويتبع ذلك هلاك البطل نفسه ، ولقاء وفات الحبيبين التعيين في صريح واحد .

كان النظامي يبدى اهتماما عظيما بصدد الروايات العربية المتعلقة بمجنون ليل ، وهو يستفيد أحيانا من أدق تفاصيلها ، ويحافظ على الأثر التاريخي الأدبي للرواية ، الذي يصف المجنون كشاعر ، ويبدى عناية فائقة في كيفية نقل هذا الأثر الى اللغة الفارسية .

فالنظامي خطا خطوة حازمة في قصة مجنون ليل ، فقد صنع من الحكايات المجزأة وحدة قصصية كاملة المعالم ، فبدت وكأنها نمت عضويا ، ثم انه قدم شكلا لدراسة سيكولوجية لتنامي رغبة لا تلين لها قناة .. فالحقيقة عنده موشاة بروح صوفية .

فالشاعر الفارسي يعرض على القارئ لوتين من السيادة الأبوية ، فمن ناحية والد المجنون الذي يهيم حبا بابنه ، ويحذره من المصير الذي سيلول اليه ، ويبدى استعداد المطلق لتحقيق رغباته ، ومن ناحية أخرى والد ليل ، النفعي ، الذي لا يأخذ بالاعتبار مصلحة ابنته .

وقد رسم النظامي شخصية ليل بعلاء أكثر مما رسمته الرواية العربية ، وهي تبدو في القصة كلها ، باستثناء الفصل الخاص بزواجها ، متفصلة . وقد أظهر النظامي ليل محرومة من الحقوق بما يتعدى واقع الأسرة البدوية ، ولعله كان يرسم في ذلك واقع المرأة الفارسية في أيامه .

ثم ينهي النظامي منظومته حسب ترجمة « اتكنون » بأبيات يغلب عليها طابع الصوفية ■

ويتبع ذلك فصل خاص بفشل الخطبة ، فولد ليل يريد لها زوجا من الحكام الأثرياء .. في شخص رجل اسمه « ابن سلام » ، وهو اسم لم يرد ذكره في المصادر العربية .

ويل ذلك فصل نوفل بن مساحق فيتحول عند النظامي من رجل يجمع الصدقات للسلطان ، الى قائد خطير تقاتل له القبائل العربية هاماتها ، واذ يفشل نوفل في المفاوضات السلمية لزف ليل الى قيس ، يلجأ الى السلاح وفيه الحراب ، والدروع ، والخوذ الفولاذية - ويشتبك مع قبيلة ليل بمعركة طاحنة ..

ويقول النص الانكليزي لهذا المشهد بما ترجمته : « وامتنق نوفل حزامه الدمشقي البتار ..

وجند للمعركة الرهيبة كل بطل مخوار واندفع بهم عبر الصحراء خفافا .. وهم من كأس المنية يهفون ارتشاشا وأوفد نوفل رسولا يطلب منهم بلهجة المقتدر المالك .. أن يقبلوا بزف الفتاة الى قيس المتهالك .. وما ان جاء الرد برفض قيس المجنون حتى صاح نوفل : الولي لكم وستندمون على ما تفعلون . وحسر نوفل الجولة الأولى ، ثم عاد وحشد قواته وشنها حربا شعواء على قبيلة ليل فأذاها وكسر شوكتها . وهنا يشعر المرء أن المأساة تقرب من نهايتها ، غير أن تهديد والد ليل بقتلها ان هي خالفت أمره يعظم هذه النهاية ، ويبلغ المجنون الخطر الذي يهدد حياة ليل . فيتوجه الى معسكر نوفل ويتوسل اليه أن يوقف رمى القتال .

ومن الجلي أن هذا الفصل غير وارد في النص العربي ، وقد أدرجه النظامي بقصد تقريب القصة من الشعر الرومانسي الفارسي للقرن العاشر للميلاد .. وكان لا بد له من سرد وصف المعارك وهو عمل أساسي كانت تمتعنه الأرستقراطية الفارسية فسي ذلك العصر .

وعلى ذلك انطلق النظامي في توسيع منظومته مستعينا بكل الروايات العربية المجزأة وجمعها في وحدة كاملة . وقد بلغ القمة فيها حين تحدث عن مجيء المجنون الى ديار ليل وهو يجر قيوده دلالة على بأسه وقنوطه ، ثم اقامه على تحطيم هذه القيود دلالة على أن المجتمع البشري بات لا يشده اليه .

ويصف النظامي زفاف ليل الى ابن سلام بتفصيل يتعدى الرواية العربية ، وهو يتضمن واقعا له أهمية .

وفي هذه الحالة بات غير معروف من الذي سبق الثاني الى الموت أهو قيس أم ليل ؟ ..

ولم يد واضعو قصة قيس وليل اهتماما كبيرا في حبكة القصصية ، فالمجنون بعينهم بالمرتبة الأولى بوصفه شاعرا له مكانة كبرى في نفوسهم .. أما الحكايات التي قيلت في المجنون فالقصد منها القاء ضوء على بعض أشعاره ، أو الإشارة الى المناسبات التي قالها فيها . ويكون دور ليل في هذا المجال ثانويا ، فهي مجرد سبب لظهور هذه القصيدة أو تلك ، فالبطل الحقيقي في القصة هو المجنون ذاته .

النظم ابي البختري ومجنون ليل

يروى النظامي أنه لم يتحمس كثيرا لنظم قصة مجنون ليل في بادئ الأمر ، غير أن ابنه محمدا ، وكان له من العمر أربعة عشر عاما ، استطاع أن يقتنعه بضرورة نظمها ، لأنها تهوي قلب كل فتى وفتاة ، فانصاع النظامي لرغبة ابنه ، ولم تمض أربعة أشهر حتى كان قد أنتمها ، وهي تقع في أربعة آلاف بيت من الشعر .

ولا يذكر النظامي المصادر التي استند اليها في نظم « ليل والمجنون » بالفارسية ، والمظنون انها مخطوطات مبعثرة ، أو روايات يرددها الناس ، ومع ذلك فان ليل والمجنون الفارسية تتفق ومجنون ليل العربية من الناحية القصصية الرومانسية ، لكنها تختلف والرواية العربية في الجوهر ، فالنظامي صب فيها فلسفة صوفية معينة ، ولم يروها مجرد قصة حب .

تبدأ القصة عند النظامي بأن والد قيس رجل ثري ذائع الصيت ، لم ينجب أطفالا ، فيتوجه الى الله بالدعاء أن يرزقه صبيا فيرزقه قيسا . ثم يأتي فصل نشأة الحب ، وهنا ينحرف النظامي قليلا عن صلب الرواية العربية ويدعي أن حب المجنون ليل لم ينشأ ابان رعيهما للابل عند جبل التوباد ، وانما على مقاعد الدراسة حيث كانا ينتهلان العلم معا ..

ويرجع السبب في هذا الانحراف الى أن النظامي قد زين مشاهد الحياة القبلية العربية القديمة ، فجعل أولياء المحبين من الوجهاء الأثرياء ، وأصحاب النفوذ والسلطان ، فانقلبت عنده حياة قبيلة قيس وليل من بدوية راحلة الى بدوية مجازية .

حاتم طاج

لم يسمع بحاتم الطائي ، الذي كان وما
يزال مضرب مثل في الكرم ، وعنوان
الاستجابة لكل ما فيه طيب الأثر ؟! كان لا-
يحسب من عمره ليلة لا ينزل فيها عليه ضيف ،
وهذا ما حمله على القول ذات مساء لغلामه :
- أوقد النار ، يا غلام .
أوقد فان الليل ليل قر
والرياح يا موقد ريح صر
عسى يرى نارك من يمر
وان جلبت ضيفا فأنت حر
ولم يعجب امرأته قوله الذي لا يدل على الاسراف
بالمال فحسب ، بل كان يهدد البيت العائلي بالفقر ،
فقالت له :
- عجبا لأمرك ، يا حاتم .. تقري وتعطي كل
طارق وسائل ، وكأنك تعيش ليومك دون غدك ،
أو كأن لا عيال لك هم أول من الغير بمالك .
قال الرجل العنيد في كرمه :
- أهلي اللوم ، يا ماوية .. لقد - والله - وجدت
الكرم خيرا من البخل ، وحسن الذكر أول بأن
يورثه المرء بنيه ، ولا خير في مال يمضي صاحبه
من الدنيا ، ويترك أداة لسوء الشاء من بعده .
وما أنهي قوله حتى نبح كلب البيت في البعد ،
فقالت المرأة :
- نبح كلبك ، فابشر .
قال متهللا :
- ما ارتاحت نفسي يوما ارتياحا الى مثل هذه
البشرى .. ولعل طارقنا ذو حاجة ، ويأبى الله
أن يذوق الفمض جفني ، ولما أفقي حاجة
لطارق .
وأقبل الغلام منشرا :
- ضيف يا سيدي .
قال حاتم ، ووجهه مشرق ارتياحا :
- الي به ، وأنت حر .
وجاء الضيف ، فاستقبله بالحفاوة التي تعود
استقبال ضيوفه بها ، قال :
- رحبت بك الدار ، من أنت ؟
قال الرجل :
- من البراعم ، واليك قصدي وحاجتي .
قال حاتم :
- حاجتك مقضية ، لكن قرير البال ، وإسأل
ما شئت .
- لقد وقعت بيني وبين قومي ديات ، فاحتلتها
في مالي وأمل .. أما المال فقد عدته ، وأما الأمل
فمعهود عليك .
- وما ديات قومك ؟
- ثلاثمائة من الأبل .
قال حاتم :
- ما حاب أمك .. ومن حسن حظك أننا أصبنا
غنيمة من بني تميم ، ومرباعي منها مائتا بعير ،
ما عدا النياق وصغارها ، فعليك بها وبما ينقصك
من ابل وفاء لحمايتك .
وعاد الرجل بغطاء حاتم غانما .

بقلم الأستاذ عبد الله هشيم

وقال حاتم لامراته :
- أنا خارج في حاجة يا ماوية ، ولقد يطول
غيابي عن الحمي زما ، فأوصيك بالصيوف .
قالت ماوية :
- أولئك يا حاتم على بذلك وسخائك ، وأرى
ذلك واجبا بحضورك . وأما في غيابك فأنا يمتناك
التي تبذل وتسخر ، فلا يقال امرأة حاتم ردت ضيفا
أو سائلا لحاتم ، وحسبي عزتك وكرامة نفسك .
* * *
حاتم وغلाम له في الصحراء ، يسيران على
راحلتيهما الهوينى ، و « الهاجس الخاتمي » لا يفارق
الرجل الذي عاش كريما ، ويأبى أن يفارق الدنيا
الا كريما .
وكان حاتم شاعرا ، وطاب له أن يقول الشعر ،
أن يرسله من نفسه السمحة ، فراح ينشده صامتا ،
وعلى وجهه فيض من ارتياحه النفسي :
أماوي أن المسال غاد ورائح
ربقي من المسال الأحاديث والذكر
أماوي أنسي لا أقول لائل
إذا جاء يوما حل في مالي الشذر
أماوي ما يغني الثراء عن الفتى
إذا حشرت يوما وضاق بها الصدر
أماوي أن المسال مال بذلته
فأولته شكر وأخبره ذكر
وكان لا بد من راحة ، فاذا هما في أرض
لا يجهل حاتم أهلها ، قال :
- ها نحن أولاء بأرض بني عزة يا غلام ،
وعما قليل نصل الى منازل القوم ، فعليك بكتمان
اسمي أتم الكتمان ، لأنني أسير كما ترى متنكرا
الى حاجتي ، وأود أن لا يعرفني في طريقي اليها أحد .
وحاب ظن حاتم في تنكره ، فاذا هو بين المنازل ،
وأهل الحمي يستقبلونه استقبالهم أي ضيف ، من
غير أن يعرفوا من هو :
وفجأة تعالى صوت مناد :
- يا حاتم ، يا أبا سفانة :
وفوجيء حاتم بالنداء .. واذا هناك أسير في
القيود ، عرف « أكرم الناس » من أول نظرة ،
فناداه مستنجدا .
وفوجيء أهل الحمي كذلك .
أحاتم الطائي عندهم ؟
وتابع الأسير :
- لك الله ، يا أكرم الناس .. لقد أكلني
الأسار ، ولست بتاركي في ما أنا عليه .
قال حاتم :
- ويحك ، يا هذا .. ما أنا في أرضي وقومي ،
وما معي كما ترى شيء أفديك به ، وقد أسأت
الي إذ نوهت باسمي .
- قال الأسير :
- لقد عرفتك يا أبا سفانة .. واذا رأيتك شعرت
بأنني استعدت حريتي ، وأنا الآن في ذمتك .
قال حاتم :
- افتديتك يا رجل ، فأين شيخ القبيلة ؟



دع قنا

فأغاروا على أهل له ، وأصابوا منها شيئا .
 - وما أنت بعد فاعل ؟
 قال حاتم :
 - أنا عائد الى الحمى ، لأرى ما أصرت غزوته
 بنا ، وأسعى الى اصلاح ما أفسد الجهل .
 * * *
 عاد حاتم الى الحمى ، فاذا الشاكون يلتفون
 حوله بصراخهم :
 - همتا في عتقك ، يا حاتم .
 - لقد أصاب النعمان موارد عيشنا .
 - ورجلنا يرسفون بالأغلال لديه .
 - ولا ينصفنا منه سواك .
 قال حاتم مغضبا :
 - ما ظلمكم النعمان ، ولكن ظلمتم أنفسكم ..
 أنفرونه في غيابي ، وأنتم على علم بما بيني وبينه
 من مودة ، وتحملوني همكم ؟
 قالوا : أنت سيد العشيرة .
 - ان أنت لم تحمل همتا فمن يحمله ؟
 - جهالتنا ما نحن بمسؤولين عن جهلهم .
 وحاتم يعرف الحق ، قال :
 - بهذا صدقتم .. على سيد القوم أن يتحمل
 مسؤولية الجهل في قومه .. وأنا ماض الى الملك
 النعمان ، فاما أن أستعيد أسراكم ، واما أن أبقي
 أسيرا لديه ، لا كفر بذلك عن خطا ارتكبتموه ،
 وتأسى السيادة الا أن أحمل وزره عنكم .
 * * *

وتعالت في تلك اللحظة صرخات :
 - حاتم ، يا حاتم .
 - أين أبو سفانة ؟ أين نجده ، يا ماوية ؟
 قالت ماوية :
 - ما دهاكم ، وما حاجتكم اليه ؟
 فتعالت الصرخات ثانية :
 - غزانا النعمان ، وأصاب منا أسرى .
 - زوجي في جملة الأسرى .
 - والد عيالي في عدادهم .
 - لبعد حاتم من سفره في الحال .
 - أفتناه رئيسا علينا ، فعليه أن يتحمل همونا .
 قالت ماوية للغلام :
 - أسمعت يا هذا .. عد الى حاتم ، واستحثه
 على العود ، دون مهلة .
 * * *
 عاد الغلام الى حيث كان حاتم بانتظار عوده ،
 ومعه مال الفدية للأسير ، وحكى حكاية غزو
 النعمان لقبيلتهم وما نتج عنه ، فقال الشيخ
 العزبي :
 - أبلغوك النعمان يا حاتم ، مع ما بينك وبينه
 من عهد الصداقة ؟
 قال حاتم هادئا :
 الملك النعمان .. لقد كنا نحن البادئين بغزوه ،
 فلا يلام اذا غضب ، وقابل الاساءة بمثلها .
 - وكيف كان ذلك ؟
 - اغتتم جهال قومي فرصة تفيسي في سفر ،

وراح الى الشيخ ، والشيخ يعرفه .. فاستقبله
 بما هو أهل له من اخفاوة ، ولما عرف لأي حاجة
 قصد اليه ، قال :
 نهيك الأسير ونفك أساره اكراما لك ، وأنت
 أكرم من وهب من الناس وأعز من يوهب .
 قال حاتم :
 - اقتديت الأسير ولا أقبله هبة .. واذ كنت
 لا أحمل مالا ، فاني مقيم في الأسر مكانه ،
 الى أن يمضي غلامي ويحيى بالمال .
 قال الشيخ :
 - لن يكون هذا .. لن يقيم الطائي في قيد الأسارى ،
 فيقال أن في عزة من يفسح المال فوق قدر الرجال .
 قال حاتم :
 - ولن أقبل الأسير هبة منكم فيقال أن الطائي
 يزيد من قدر كرمه باستغلاله كرم سواه .
 قال الشيخ ضاحكا :
 - اذن ، يقيم الطائي بيننا على الرحب ، الى
 أن يمضي غلامه ويعود بالمال .
 * * *
 قالت ماوية ، ولد أقبل الغلام عليها في طلب
 المال لحاتم :
 - ويحيى .. يقيم في الأسر لافتداه رجل تخل
 عنه ذووه ؟
 قال الغلام :
 - لقد وهب شيخ القبيلة الأسير لرفض قبوله كهبة .
 قالت : يا له من رجل .

كان النعمان ملك الحيرة ، وحاتم في عداد الذين
صادقهم ، وجعل لهم مكانة خاصة عنده . والفزو
كان عادة في عهده ، وعهده عهد الجاهلية .
فكان أن اغتنم جهال من عشيرة حاتم فرصة
تغيب حاتم عنهم ، فأقدموا على غزو مال للنعمان ،
وأصابوا منه غنما .

فكان طبيعيا أن يغضب النعمان ، وأن
يقابل الاساءة بمثلها ، الا أن
صداقة حاتم ، وتقديره للرجل الذي كان رمزا
للكرم العربي ، كانا فوق الاساءة والغضب ،
فقال لأهل بلاده :
- ما كنت أرجو أن يصاب حاتم بما أصبناه ،
ولكن اغارة قومه على ابي اخرجتني عن طوقي ،
وأنا واثق بأنه كان اذاك متغيبا عن عشيرته ،
والا لما تجرأ جهاضا على عملهم .
قال أحدهم :

- ان حاتما ، وأنا أعرفه جيدا ، يمكن لكم كل
احترام ، يا مولاي .

قال النعمان :
- ولذا أسفي .. وأرجو أن يأتي الى هنا لأنصفه
الانصاف الذي هو أهل له .

وتهلل وجهه ارتياحا ، عندما قيل له : أن حاتما
بالباب ، فقال :

- ليدخل علي في الحال .
وتابع قائلا لمن معه :

- لكأنني كنت على موعد وإياه .. ان عشيرة هو
سيدها تقتفر ذنوبها ، ولن يكون الطائي أكرم
من الملك النعمان .

ودخل حاتم عليه ، فاستقبله بقوله :

- يا مرحبا بحاتم .
قال حاتم :

- لمولاي الملك ولائي .. وقد جئت أعذر اليه
عن قومي ، عن حماقة ارتكبها جهالهم ، وأنا عن
الحي عنهم في غيبة .

قال الملك :

- قلت أنا هذا ، وكنت بانتظارك لأنصفك ،
وأنت أهل لذلك .

قال حاتم :

- ما أنا بمظلوم لأنصف .. أنا سيد القوم ،
والمسؤول عن جهلهم وحماقاتهم . ولئن يكن للملك
أن يستبقي من أصاب منهم في الأسر ، جزاء الاساءة
التي ارتكبوها . فالأحرى أن يضمني ، أنا المسؤول
الأول عن هذه الاساءة ، اليهم في الأسر .

قال النعمان ضاحكا :

- اذن جئت لتقيم في الأسر ؟
- احقا قال مولاي .

- واذا وهبناك الأسرى ؟
- أبقى أنا أسيرك .. ويطلب لي أن أبقى أسيرك ،
ان لم يكن لعفوك ولد عفوت ، فاستغفارا من نفسي
لنفي ، وأنا لا أستطيع أن أقابل معروفك
بمثلك .

قال النعمان مرتاحا :

- سقيا لك ، يا حاتم .. انك تعرف كيف
تكون أكرم الناس وأسخاهم حتى اذ يحاول النعمان
نفسه أن يجاريك في كرمك وسخاكتك .
وأردف قائلا :

- لك نهب أسرى قومك ونفك اسارهم ، ولقومك
نعيدك مكربا ، وقد آيت الا أن تكون أسيرنا ،
ولن نقبل بعد اعتراضا .

عاد حاتم بالأسرى ، واستقبله قومه فرحين مهللين :

- لقد عاد حاتم بأسرانا .
- وبرضى النعمان .

- مرحى لأكرم سادة العرب .
- وليد الطائيين ، بلا منازع .

فقال قائل :

- استثنوا ، يا قوم .
قالوا : لا نستثنى .

قال : استثنوا سعد بن حارثة .
قالوا : لا نستثنى أحدا .

قال : انه ابن عمك ، وسيد بني لام ، وأسخى
من أعطى ومن يذل .

قالوا : يتحده حاتم .
- يماجده في الطعام والشراب .
ونادى أحدهم :

- يا حاتم ، يا أبا سقانة .
قال حاتم مليا :

- ما تريدون مني ؟
قالوا : هلا ماجدت سعدا بن حارثة في البذل ؟

قال : ويحكم .. لم أماجده ، وهو ابن عمنا ،
وما ماجدنا يوما ، ولا تعدانا ببذله .

قالوا : هنا واحد من قومه يتحدى .
- يريد أن نستثني ، اذ نصفك بأكرم الباذلين .

- يريد أن نتحل له عن كرامتنا .
قال : ومن الرجل ؟ وكان رجل سعد بينهم ،

قال :

- أنا هو ، يا حاتم .. ليست أمجاد طي ولقا
عليكم ، معشر بني عدي ، وفي لأم أكفاء هذه
الأمجاد ، وسعد بن حارثة جدير بالحفاظ عليها .

قال حاتم :

- ألبسان سعد تتكلم ؟
قال الرجل :

- بلسانه ولسان بني لام جميعا .
قال حاتم وقد ثارت حميته :

- اذهب اذن الى سعد ، وقل له اننا نتحده ،
وعل استعداد لمجاده أنسى شاء ، وفي أي وقت
يحدده لذلك .

قالت ماوية لائمة :

- أنماجد سعدا يا حاتم ، ونحن على ما نحن
عليه ، من قلة الخير والمال ؟
قال مصرا :

- لقد تعدانا سعد ، ولا يد من مجاده .
- ما تحدى هو ، بل رجل آخر .
- بلسانه تكلم الرجل .

- قد لا يكون قوله صحيحا .
- على سعد أن يكذبه .
- ولكن سعدا كثير المال .

- ما تهمني كثرة ماله .
- والنعمان صهره ، ولن يتحل عنه .
- ولنا أبناء أعمام لا يتحلون عنا .

- من تعني منهم ؟
- مالكا بن جبار ، وهما بن عمرو ، وكلاهما
ذو مال ، وعن حسبهما وحسبي أخاظر .

قالت ماوية :

- ولكنك لا تجهل أن مالكا ببخل ، وأن بينك
وبين وهم مصارمة ، فما رجاؤك منهما ؟

قال : لا ببخل ولا مصارمة ، اذ يكون الحسب
في خطر .. وهما يمكن من أمر يا ماوية ، فليست
براجع عن مجاد سعد ، أو كان الموت خيرا لي
وأفضل .

قال سعد بن حارثة لناقل خبر التحدي والمجاد اليه :

- يماجدنا حاتم ، ونحن لما .. أيريد ذلك الرجل
أن لا يكون في طي ، وفي العرب أجمع ، كفو له
في كرمه ؟

قال الرجل مجسما الأمر :

- حتى ولا من يدعي البذل .. وليتك سمعته
بأي طجة ساخرة أجابني ، وأنا أطلب استثناءك من
يدعي أنهم أصغر منه شأنا ، قال : ليت سعدا
يماجدي لأرى الى أي حد يمكنه الثبات في مجالي .

وأغاط ذلك سعدا ، فقال :

- ستماجده ، ونضرب له في سوق عكاظ موعدا ،
ومنا تسعة أفراس ومنه فرس واحد ، وسنرى لمن
منا تكون الغلبة .

وبعث الى حاتم يبلغه ذلك .
فقال حاتم لامرأته :

- أرايت يا ماوية كيف أن سعدا لم يكذب رجله ،
بل بعث بالعكس يؤكد لنا التحدي ، ويضع
لذلك رهنا ؟

قالت : وما الرهن ؟
قال : تسعة أفراس منه ، وفرس واحد منا .

- ومكان المجاد ؟
- سوق الحيرة .

قالت متحمسة :

- ماجده اذن .. وامضي في الحال الى أبناء
عمومتك ، الى من ذكرت ومن لم تذكر منهم ،
ودعهم يشعرون بأن كرامة حاتم وكرامتهم واحدة ،
وانك لانتقاد هذه الكرامة تهاجد وتحاطر ، وما احال
واحدا منهم يتردد اذ ذاك في الوقوف الى جانبك .

انتشر خبر المجاد المشير ، بين حاتم وسعد
ابن حارثة ، في جميع أحياء الحيرة ، وتحدث الناس
بكثير من الفضول والاهتمام عنه :

- أبناء العمومة يتنافسون في الكرم .
- ستشهد سوق الحيرة أعظم مجاد عرفته في تاريخها .

- لن تكون الغلبة لحاتم ، والنعمان صهر ابن
حارثة ، ومعينه في أوقات الشدة .

- ولحاتم أبناء عمومة .
 - من الغوث وتعل أبناء عمومته .
 - ويكفي أن يكون وراءه صديق الملك الأول
 اياس بن قبيصة .
 كان مالك بن جبار ، من أبناء عمومة حاتم ،
 مشهورا ببخله .. وقد سمعنا امرأة حاتم تحذر حاتما
 من الاعتماد عليه ، ومع ذلك فقد كان أول من
 قصد اليه حاتم ، وأطلعته على حكاية المجاد الذي
 أخطر اليه ذودا عن الكرامة ، فقال مالك :
 - لقد أعطأت يا حاتم في مجادك سعدا ، وأنت
 تعلم صلاته بالنعمان ، وغيرة النعمان عليه وعلى
 عشيرته .
 قال حاتم لائما :
 - تقول هذا يا مالك ، وأنت تعلم أنني أماند
 لكرامتنا وحسنا ، وسيكون الغوثي أول من يصاب
 بكرامته وحسبه ، يوم لا يبقى لي كرامة ولا حسب ؟
 - قال مالك لا مبالا :
 وما أستطيع أن أفعل لك ؟
 قال حاتم :
 - انك ذو مال ، وفي وسعك أن تمدني بما أحتاج
 اليه ذودا عن كرامتنا وسمعتنا .
 قال مالك مستخفا
 - ما أنا بحاجة الى هذا المجاد .. وما كنت
 لأحرم نفسي وعيالي مالا جمعه بتعب العمر ،
 لأهدر هذا المال جزافا في مجاد لا أرى منه
 جر منفع .
 قال حاتم :
 - ما هذا برأي ، يا ابن العم .
 قال مالك مصرا :
 - انه في كل حال رأيي .
 قال حاتم ، وفي طبعته حدة .
 - لا أهنئك عليه .. وسترى أن حاتما دون كرامة
 قومه ، حتى ولو تقاعس مالك بن جبار عن نصرة
 هذه الكرامة .
 وانصرف عنه قاصدا الى وهم ، وبينه وبين
 هذا خصومة .
 ومع ذلك فقد كان استقبال وهم له غير استقبال
 مالك .. وكان قد سمع بخبر مجاده لسعد ، فقال له :
 - كنت أحتسب يا حاتم أن لا تأتي الي ،
 وتحرمني شرف الوقوف الى جانبك في مجاد ابن حارثة .
 قال حاتم :
 - ولم لا آتي اليك ، يا وهم ؟
 - لما بيني وبينك من خصومة .
 - لا خصومة يا ابن العم ، اذ تكون الكرامة
 مهددة ، والحسب في خطر .
 - لا تهدد كرامة أنت حاميتها .. وحسب الطائي
 لن يمس ، ووراءه من يفتديه بالروح ، فكيف
 بالمال ؟
 قال حاتم مرتاحا :
 - ما قصدت الي وهم ، وأنا في شك من كرمه .
 قال وهم والحامسة آخذة منه :
 - وما أضع مالي ومال عشيرتي بأجمعه بين يدي

حاتم ، الا ليقبى كرم حاتم فوق طموح من يباريه
 لينزع من طي عنوان عزها ومجدها .
 * * *
 كان اياس بن قبيصة ذا مال كثير وجاه ،
 وله عند النعمان منزلة لا يزاحمه أحد عليها ، ولم يكن
 للمال عنده قيمة ، اذ يكون من وراءه بذه تعزيز
 لشأنه وشأن قومه .
 وعندما سمع بما بين حاتم وسعد ، جمع كبار
 عشيرته من بني حية ، وقال لهم :
 - يا بني حية .. لقد أناكم خبر المجاد بين
 حاتم وسعد .. ان بني لأم يريدون كرامة ابن عمكم ،
 وما كنت والله لأرضى أن ينالوا منه ، حتى ولو كلفنا
 الأمر بذل أرواحنا بعد المال في سبيله .
 وتحسن سامعوه ، فارتفعت أصواتهم ، وكأنها
 صدى لصوته :
 - لا نرضى أن يمس حاتم في مجاده .
 - عندي له مائتا فاقة .
 - وعندي له عشرة أجياد على كل منها فارس
 مدحج لا يرى منه الا عيناه .
 - وعندي له كل ما ترك والدي .. ما دام
 المجاد قائما .
 قال عندئذ اياس :
 - أما أنا ففعل مثل ما أعطيتكم كلكم .. وأنا
 ماضى الى النعمان ، فأحذرته من نصرة ابن حارثة .
 * * *
 النعمان في حيرة .
 خبر المجاد بين صديقه حاتم ونسيبه سعد يزعمه ،
 فالصداقة كالنسب لها عنده حقوق ، وسعد يأثبه
 سائلا المدد .
 أيمده بماله ، ويتحدى صديقه حاتما ؟
 بالأمس القريب قال لحاتم انه أكرم الناس ،
 وحتى هو النعمان لا يجاريه في كرمه ، فهل يغير
 رأيه فيه ؟
 وقال لسعد :
 - لقد أخرجتني بمجادك حاتما ، فأنت تعلم
 بما لقوم من مكانة في الحيرة ، وبما له عند قومه
 من منزلة تجعلهم على الانتصار له .
 ولم يكن سعد غريبا عن ذلك .
 كان يعلم أنه بمجاده حاتما يماجد قوم حاتم ،
 وقوم حاتم غير من يستهان بهم مكانة ومالا ،
 الا أن صلة النسب بينه وبين النعمان كانت لما
 يحملها على الاغترار والتعدي ، قال :
 - آبيت اللعن ، أيها الملك .. ما ماجدنا حاتما
 الا لنحديه لنا ، وما يهون عليك أن تهدر كرامتنا ،
 وأنت صهرنا وتحمل معنا أسياء هذا المجاد .
 وأعلن الحاجب الذي في الباب مجي اياس ،
 فقال النعمان :
 - ليدخل .
 وقال لمن حوله :
 - لا شك في أنه قادم لما نحن فيه ، وياياس صعب
 الشكيمة في تعصبه لقومه ، وله عندنا حرمة لا يقدم
 أي اعتبار عليها .

ودخل اياس ، وحيا :
 - أنعم صباحا ، أيها الملك .
 قال النعمان :
 - وحياتك الله ، يا اياس .
 قال اياس :
 - علمت أنك ستمد أختانك بالمال والخيل ،
 لتجعل بني ثعل في قصر الكنانة ، أيها الملك ..
 أظن هؤلاء الأختان أنهم صانعون بعاتهم ما صنعوا
 بعامر بن جوين ، ولم يعلموا أن بني حية في البلد ؟
 قال النعمان :
 - ومن أنباك يا اياس أننا ستمدهم بخيلنا ومالنا ؟
 - حديث الناس أولا .
 - وبعده ؟
 - ووجود سعد هنا .
 وارتفع صوت اياس مندرا :
 - وليعلم مولاي أننا وراء حاتم نشد من أزره
 ونفتديه بالمال والرجال .. وموعدا وابن حارثة قريب .
 قال النعمان مهددا :
 - يا أحلما .. لا تقضب ، فاني سأكفيك .
 والتفت الى سعد متايحا :
 - عليك يا سعد بارضاء ابن عمك حاتم ، فما
 أنا بمعطيك من مالي لنجاده ، لن أجعل بيني وبين
 كرام القوم بذلك مجالا لخصومة .
 وكان في طبعته من الجذ والقسوة ، بالاضافة
 الى حجة اياس الصارمة ، ما جعل سعدا يتهيب
 المؤلف ، قال :
 - أعرضنا ، آبيت اللعن ، عن مجاد حاتم .
 قال اياس :
 - وتزكون له أفراسكم التسعة التي راھتم عليها .
 قال سعد :
 - أنقر له بالقبلة من غير أن فماجده ؟
 قال اياس :
 - لن يرضى بغير هذا .. ولئن يرضى هو ،
 فستأبى عليه الرضى ، ونحن من ماجدتم اذ ماجدتموه ،
 وكنا وياها في الغنم والغرم .
 قال النعمان :
 - لقد تركوا له الأفراس .
 قال حاتم ، وقد عاد بأفراس سعد التسعة الى
 الحي مزهوا :
 - لتنصر هذه الأفراس ، وليأكلها الناس ،
 ويكفيينا حسن الشاء .
 وتعالى هتافات أهل الحي :
 - مرحى لحاتم .
 - مرحى لأكرم العرب بلا منازع .
 - حفظت يا حاتم كرامة قومك .
 - ورفعت لطي عمادها الذي لا يطاول .
 وبلغ ازتياع حاتم الذروة ، وهو يسمع هتافات
 القوم تلك ، فقال لامراته :
 - أحس يا ماوية كأن عشرات الأجيال بعدنا
 تردد هذه الهتافات .. وما أجمل وأروع أن
 يحس المرء بمجده وطيب ذكره قبل رحيله من
 دنياه ■

شِركاء الشوق

للشاعر طاهر زخمري

يا شارع الشوق في بحر الأمان
فاقطع اليم الذي شط الرضا
ومن الليل جناح خافق
والمجاديف التي أحملها
رجعت تضرب في لبح الأمان
وعلى رغم النوى ما فتئت
بفؤادي استراحا للنوى
فالتباريح التي كنا بها
أصبحت بردا ومن أندائها
واللظى الموار من حر النوى
يا شارع الشوق في بحر الأمان
أحب الوقت الذي أعبره
كلما رف فؤادي ارتعشت
تسأل الأحلام عن معادنا
والأمان كان قضاء واصدا
والجوى كان ليها صارخا
زورقي الساري على راد الضحى
واصلته الرحلة في درب النوى
في غد .. يطلع فجر مشرق
يا شارع الشوق في بحر الأمان
عبرا التيه .. وما ضاقا به
وانبرى كل وفي غربته
وعلى درب النوى قد غردا
والسرى طال ولكن المدى
ومن الشوك ونير للخطى
فاذا صاح الشجا في مهجة
وهي لا ترقب الا عودة
فاذا أقبل فالليل له
بالسنا بضحك من فتنته

قد أجبت الحب لما أن دعاني
بفؤاد ذاب في رجيع الأغاني
رف بالأحلام تشدو بالحنان
بعد أن ضاقت بما منه أعاني
وتلهت بتصاريف الزمان
تقطع الشوط الذي بر الأمان
واستطابا العيش في ظل التداني
نذرف الاله .. وشقبي خافقان
يتساقى بالأمان في ظمآن
لم يعد يلدع .. من حلو الأمان
ناغمت رحي .. دقات الثواني
لتلاقينا برجع الخففة
لهفة ظمأ .. بأطراف لساني
فيجيب الصمت في جو المكان
صوب الشرق سهما ورماني
ذوب المهجة مني وشجاني
بفؤاد خفقه رجيع مثاني
مرفأ الأحلام من عيني دان
والرؤى تضحك من حلو الأمان
كم من الفرحه .. غنى والهان
لا ولم تعثر لأي قدمان
يسكب الآه بدمع وبيان
لتباريح .. طوتها مهجتان
ضاق لما أن طواه عابران
ومن المقلبة حبات جمان
دوت الأصدا منه في المغاني
لربيع الحب .. صداح الأغاني
فلك .. والروض بسام المعاني
بطيوب العفر في ظل التداني





أخبار الكتب

* المجموعة الكاملة لمؤلفات الأستاذ ميخائيل نعيمة تصدر تباعاً وعمل نسق واحد وتضم جميع آثاره المنشورة وكذلك رسائله الأدبية . وقد صدر المجلد الأول من هذه المجموعة مشتملاً على الأجزاء الثلاثة للكتاب «سبعون» وهو سيرة حياة نعيمة إلى سن السبعين وإن كان شارف اليوم الثمانين . والمأمول أن تقع هذه المجموعة الكاملة في عشرة مجلدات .

* صدرت أخيراً ثلاث حلقات جديدة من «موسوعة العتبات الجديدة» التي يصدرها العلامة العراقي الأستاذ جعفر الخليلي . كما صدرت خمسة أجزاء من «التفسير الكاشف» للشيخ محمد جواد مغنية ولم يبق إلا جزءان يكتمل بهما تفسيره للقرآن الكريم .

* «المعجم المساعد» الذي صنفه العلامة الراحل الأب أفتانس ماري الكرملي وتوفي قبل أن يصدره ، يمكنك على تحقيقه ومراجعته ووسطه العلامة العراقي الأستاذ كوركيس عواد والأستاذ عبد الحميد العلوجي ، ويُنظر أن يصدر في أجزاء متعددة .

ومن المعاجم التي صدرت أخيراً «معجم المعاني» وقد حققه الأستاذ هلال ناجي عن مخطوطة كتبت في القرن الرابع ، وهو من النماذج التي استقى منها الثعالبي كتابه «لغة اللغة» .

* من كتب التراث التي حققت أخيراً «المخاض المطابة في معالم طابة» لمحمد بن يعقوب الفيروز آبادي وقد حققه العلامة الكبير الشيخ حمد الجاسر ، و«الفاصل في صفة الأدب الكامل» لأوشاء وهو في جزءين من تحقيق الأستاذ يوسف يعقوب مسكوني ، و«العهد» وهي رسالة في الخط والقلم من تراث القرن التاسع الهجري وقد حققها الأستاذ هلال ناجي و«السماح» لابن القيسراني وهو من تحقيق الدكتور أبو الوفا المراغي ، و«الموافقات في أصول الأحكام» للشاطبي وقد طهر في أربعة أجزاء من تحقيق الأستاذ محيي الدين عبد الحميد ، والجزء الأول من «معرفة السنن والآثار» لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي وقد حققه الأستاذ السيد أحمد صقر ، و«حكم الميراث» لأبي اليقظان وقد حققه الأستاذ عطية الجبوري .

* يتناول الكتاب الجديد الذي يمكنك على أعداده الدكتور فؤاد صروف «الإنسان والبيئة» ويعالج مشكلات الاقتصاد والاجتماع والطعام وما إليها التي يتعين على الإنسان أن يتغلب عليها ليكفل الرخاء والطمأنينة في العالم .

* من الدراسات الأدبية النفسية التي صدرت أخيراً كتاب «بحوث ودراسات في العروبة وأدائها» للأستاذ محمد خلف الله أحمد ، و«محاضرات في تاريخ العرب والاسلام» للأستاذ عبد اللطيف الطيباوي وهو في جزئين ، و«دراسات في النقد الأدبي» للأستاذ رشيد العبيدي وهو في جزئين .

* من كتب السير والتراجم الجديدة التي صدرت مؤخراً «ولاة طرابلس الغرب» للشيخ الطاهر أحمد الزاوي ، و«خواطر عن الفيلسوف الكندي» مع قائمة بمؤلفاته وبعض رسائله للأستاذ يوسف يعقوب مسكوني ، و«طلعت حرب : بحث في العظمة» للأستاذ فتحي رضوان ، و«أسامة بن منقذ» للأستاذ جمال الدين الألوسي ، و«أبو عثمان المازني ومذاهبه في الصرف والنحو» للأستاذ رشيد عبد الرحمن العبيدي ، و«رباب الكاظمي» للأستاذ عبد الرحيم محمد علي . كما تصدر دار المعارف كتاباً كبيراً عن «الشاعر الياس فرحات» للأستاذ سمير بدوان .

* من الكتب الدينية التي صدرت حديثاً هذه المجموعة : «السبيل إلى دعوة الحق والقائم بأمرها» للدكتور محمد البهي ، و«الدين والعمل» للحاج عباس كرازة ، و«الاسلام والمفهوم الحديث للقيم الانسانية» للدكتور محمود حب الله ، و«المعجزة الخالدة : القرآن الكريم بمناسبة مرور ١٤ قرناً» للأستاذ محمود الباجي .

* في الشعر المهجري صدر ديوانان للشاعر الأستاذ شكر الله الجبر هما «الروافد» و«زنانق الفجر» كما صدرت طبعة جديدة من ديوان «فداء الغاب» للشاعر الأستاذ وديع رشيد الخوري .

ومن الدواوين الجديدة التي ظهرت «الربيع العظيم» للأستاذ أنور خليل ، و«أجراس اليوم» للأستاذ أديب صعب ، و«نصف وقفة» وهو ديوان بالفرنسية للشاعرة هدى أليير أديب ، و«الواعج» للأستاذ أنطون الحايك ، و«أشواك الورد» الزرقاء . للأستاذ عبد الجبار عباس .

وظهرت لشاعرة جلييلة رها مسرحية شعرية عنوانها «خدش في الجرة» طبع في الدار البيضاء .

* في الطب صدر كتابان أولهما للأستاذ عبد العزيز بن عبد الله وعنوانه «الطب والأطباء في المغرب» والثاني للمستشار الأستاذ كامل البهنساوي وعنوانه «النباتية والنباتيون» .

* صدر للدكتور إبراهيم السامرائي بحث مقارن جديد عنوانه «لغة الصحافة» .

* في الأدب الروائي صدرت رواية للسيدة جيلان حمزة (كريمة المرحوم الدكتور عبد اللطيف حمزة) عنوانها «ألمم عقدي بغضب» كما صدرت السيدة سلمى الحفار الكزبري رواية «عينان من اشبيلية» ، وصدر للأستاذ كمال الملاح كتاب «حكايات صيف» وفيه حكايات صحفية مستمدة من اتصالاته في عمله الصحفي . كما صدر للأدبية صافي ناز كاظم كتاب «رومانتيكيات» وهو خواطر قصصية وشعرية واجتماعية . ووضعت الأدبية شرقية الراوي دراسة عن «الأدوية العربية» ، وهي تعد دراسة عن الشاعر العراقي الراحل عدنان الراوي .

* صدر للأستاذ هلال ناجي كتاب جديد بعنوان «على الهاشم» وفيه فصول في النقد والأدب .

* تمت الأجزاء السبعة لكتاب «تاريخ الحضارات العام» الذي ألف باشراف مورييس كروزيه وترجمه الأستاذان يوسف أسعد داغر وفريد داغر وتزيد عدد صفحات هذا الكتاب على سبعة آلاف صفحة .

* عينت وزارة الشؤون الاسلامية في المغرب باخراج كتاب «مختصر العين» للخليل الفراهيدي وهو مختصر أعده أبو بكر محمد بن الحسين الزبيدي الأشبيلي وأشرف على تحقيق جزئه الأول الأستاذان الكبيران علاء الفاسي ومحمد بن تاويت الطنجي . ويعد هذا الكتاب من متون اللغة وأمهاياتها ■

كتبٌ مهذاه

حظيت مكتبة القافلة مؤخراً بهذه الطائفة من المؤلفات :

* «الخلاص» ، وهي مسرحية شعرية من أربعة فصول للشاعر عدنان مردم بك .

* «صفحات من تاريخ أندونيسيا المعاصرة» للأستاذ محمد أسعد شهاب .

* «تراجم اسلامية شرقية وأندلسية» للمؤرخ محمد عبد الله عنان .

* «هل لك في الكون نقير» و«المكروبيات والحياة» و«دورات الحياة» و«الفطريات والحياة» و«أسرار المخلوقات المصينة» و«الفيرس والحياة» و«لماذا نموت» و«معارك وعطوط دفاعية في جسمك» وجميعها للدكتور عبد المحسن صالح ■

ملف المدينين والاعراب

في معرف ما للمدنيين من الانساب *

ظل هذا الكتاب راقدا في أحضان خزائن الكتب الخاصة ، زهاء مائتي عام ، وقد رأى نور النشر ، أخيرا ولأول مرة ، على يد الأستاذ الأديب «محمد العروسي المطوي» التونسي . وقد نشر الكتاب نشرا علميا محققا : وطبع طبعاً موفقاً بتونس . فالكتاب مدني المنشأ والموضوع ، تونسي الطبع والنشر والاخراج . وقد وضع له محققه الفاضل مقدمة أماطت اللثام عن أهميته التاريخية ، وشرح معظم الكلمات الأجنبية الواردة فيه . ووضع له فهرس كشف مخبئاته ، وقابل بعض كلماته .

أهمية الكتاب

تنصب أهمية هذا الكتاب في إرشاده القارئ الى الأوضاع الاجتماعية والسياسية والفكرية السائدة في بيئة المدينة المنورة في القرن الثاني عشر الهجري ، وفي أطراف من القرن الحادي عشر وما قبله . والقارئ الذي يمضي في مطالعة الكتاب يستمتع بأسلوب المؤلف الخفيف المستمد من القصص ولطجة زمنه وبيئته وهو في الوقت ذاته يشعر - لشغوف أسلوب الكاتب - كأنه يعيش معه ، ويزامله في تتبع بعض الأوضاع السائدة في عصره في المدينة المنورة ، ذات الأحوال السياسية المضطربة ، والظروف الاجتماعية القلقة .. كل ذلك بالإضافة الى موضوع الكتاب الأساسي ، الذي هو تحرير أنساب المدنيين في عهده ، بصرف النظر عما يحيط بهذا التسجيل من تحيزات جانبية ، واندفاعات عاطفية ، تبدو ايجابية بحتة بالنسبة لبعض ، وتبدو سلبية محضه بالنسبة للبعض الآخر . وتتمثل ذروة أهمية الكتاب من الناحيتين المشار اليهما آنفا في أنه يكاد يكون المؤلف الوحيد التابع والمنبثق من المدينة المنورة نفسها ، فهو تأليف مدني يؤرخ لأهلها من وجهة نظره ، ويستعرض ما أمكنه استعراضه من أحوالها وتصرفات سكانها ، واتجاهاتهم ، وأهدافهم الخاصة والعامة .. وأهل مكة أدري بشعابها كما يقول المثل السائر . وقد ترجم الكتاب لـ ٣١٣ أسرة في المدينة . وبدهي أن بعض هؤلاء قد انقرض ، كما أنه نشأت أسر أخرى بعد ذلك لم يلم الكتاب بها ، وربما كانت هناك «بيوت» و «أسر» غير من ذكرهم . ولأسباب خاصة رأى أن يهمل ذكرهم . وما يلاحظ على المؤلف تعرضه في أماكن كثيرة



تأليف المرحوم عبد الرحمن الانصاري
عرض وتعليق الأستاذ عبد القدوس الانصاري

لبعض الأسر المدنية ونفيه بدون ابداء أسباب أو تقديم أدلة أو شواهد ، لصحة انتسابهم لمن ينسبون اليه . وهذا يدل على شيء من روح العنصرية أو التحزب السائد وقتها في المدينة المنورة .

خصائص الكتاب

وال مؤلف ، على ما لمسته من كتابه ، عاطفي متأجج العاطفة ، ان أحب غالى في الثناء ، وان كره أو تأثر بالغ في القدح والنقد ، وهو جريء مقدم في مديحه ونقده ، لا يبالي بصديق أو عدو ، ولا يراعي ظروف المجتمع وعواطفه فيما يسجله في كلتا الناحيتين .

ويخيل اليّ ، من تتبعي لنصوص الكتاب ، أنه أشبه شيء بما نسميه حديثا بالمذكرات التي يجمعها صاحبها في قطر ، ويبقيها مطوية الى ما بعد خروجه من هذا العالم ، حيث انها اذا ظهرت بعده ، يكون غير متأثر ولا مبال ولا معني بما يفعل تجاهها وما يقال . وقد ازداد هذا التخيل عمقا عندي حينما رجعت الى اسم الكتاب ، فلاح لي من ثنياه هذا المعنى فهو « تحفة المحبين والأصحاب » يقدمها بصفة خاصة هؤلاء فقط في معرفة أنساب المدنيين .

وقد اتحفهم بهذه التحفة الخاصة ، لثقته في « محبتهم الأكيدة ومحبتهم الشديدة » له (١) ولذلك يتقبلونها منه بما فيها من مدح وقدح للمعاصرين ، ويدافعون عنها وعن مؤلفها بعد ذهابه ، ويحفظون بها للأجيال القادمة ، لأنها تحفة ثمينة أهديت لهم من صديق حميم دلف الى رحمة ربه .. لا أقول ان هذا التأويل حقيقة ، ولكنه يدخل في باب الاحتمال الواسع ، ويدخله من الصيغة المذكورة آنفا .

وال مؤلف طالب علم ، يبدو أن له الماما طيبا بعلم القواعد اللغوية ، وما يشذ فيه عن هذا الطريق السوي فمرجه الى غلبة هجة العامة عليه ، غلبة منشوئا ومصدرها الجمود العلمي السائد في العالم الاسلامي يومئذ ، والتبيلد الفكري الذي يخوض ضحضاحه آنذاك ، مرغما بسبب النكبات الكبرى التي توالى عليه من الداخل ومن الخارج ، حتى كادت تفقد أعلامه العلم الساطع ، وأدبائه الأدب الرائع ، فيتصيدون في مؤلفاتهم بعض ما يجيء في طريقهم من الصيغ العامة المتداولة في أمصارهم وأقطارهم . وقد رأينا هذا الصنيع حتى عند أعلامهم ، كابن خلدون ، والجبرتي ، وغيرهما .

القرية

يعرف هذا الكتاب باسم خاص غريب في المدينة المنورة الى اليوم غير اسمه الرسمي ، ويكاد هذا الاسم يطغى على اسمه الحقيقي الذي وضعه له مؤلفه . وهذا الاسم الغريب الخاص هو « القرية » بضم القاف وسكون الراء بعدها ميم مكسورة ، فباء مشددة ، فتاء مربوطة ، ولعلمهم يعنون بها « ذات الأصول والأنساب » ، وهذا هو موضوع الكتاب . ولعلمها مأخوذة من « قرمة الشجرة » وقرمتها عند العامة ، وهي ما تبقى من أسفلها اذا قطعت ، كقرية الضرس وقرميتها وعامية المدينة المنورة تسمى الفحمة الكبيرة الثقيلة التي تلتهب بقوة « القرمة » بضم القاف وسكون الراء .

منهج الكتاب

رتب المؤلف كتابه وفق حروف الهجاء ، فكان موقفا في هذا الترتيب . وهو يذكر الأصل الذي تنتمي اليه فروع الأسرة ، ويورخ له ، ويذكر ما يعن له حياله من محاسن . أو من مساوئ . أو من وصف لا هو في المحاسن ولا في المساوئ ، ثم يتبعه بذكر أولاده وأحفاده ويذكر ترجمة لكل منهم حسب معلوماته ، وقد يستطرد فيخرج عن محيط موضوعه . وهو يعنى بالثروة والمثرين ، وبالعلماء وطلبة العلم . والمدافعين عن البلد ، والموظفين الحكوميين والأهلين .. كل ذلك بعبارات سجعية خفيفة ، بعضها جيد ، وبعضها ركيك تلوح عليه سمات العامة . ومن مميزات كتابه « الايجاز » . وعدم الاطالة في الكلام ، ويكاد المؤلف يلتزم ظاهرة لا يحيد عنها ، وهي بيان الناحية أو القطر الذي قدم منه أغلب من يترجم لهم ، وتاريخ قدمهم . ويتبعي هذه الظاهرة الشائعة في أجواء الكتاب تبدت لي نظرية مستمدة من واقع الكتاب ، وهي : أن أكثر سكان المدينة المنورة هم من قدموا اليها واستوطنوها وتناسلوا فيها ، سواء أكان ذلك في عهد المؤلف أم قبله . وان أحوالهم المادية كانت طيبة ، وفيهم التجار الكبار ، والشخصيات البارزة في البلاد التي نزلوا منها ، والعرب الأقحاح الذين آثروا العودة الى وطنهم الأصلي ، أثناء نجوم الفن والقلقل الخارجية والداخلية في الأقطار التي كانوا مقيمين فيها ، أو خلال ارتياحهم من أي عناء داخلي أو خارجي (٢) ، وكان السبب الدافع لكثير

منهم الى القدوم للمدينة واتخاذها وطنها نهائيا لهم ، وجلب أموالهم اليها ، ينحصر في الباعث الديني قبل كل شيء ، فانهم يؤثرون أن يعيشوا في بلد الرسول الكريم ، عليه السلام . وأن يقضوا حياتهم فيه ، وأن يستوطنوه ويستوطنه من بعدهم أبناءهم ، حتى يحققوا فيهم وفي ذريتهم مصداق الأحاديث النبوية الواردة في فضل سكني المدينة المنورة ، خاصة وان كثرة كبيرة منهم تنتمي أصلا الى هذه البلاد الاسلامية ، فقد أسهم أجدادهم الأولون جماعات ووجدانا في حملات الفتوح الاسلامية الى الأقطار القريبة أو البعيدة . وما تجب ملاحظته في هذا الموقف أن معظم العالم الاسلامي يومئذ والى ما قبل الحرب العالمية الأولى كان « وحدة سياسية » يتمتع مواطنوه بحرية التنقل من قطر الى قطر . ومن ناحية الى أخرى دونما قيود .

أشجرة المؤلف

ان شجرة النسب التي تنتمي اليها أسرة المؤلف . على ما حدثنا به في كتابه . هي : « يوسف بن الحسن بن محمود بن الحسن » ، ويوسف هذا علم شهير ، له عدة ترجمات في أسفار التاريخ ، وذكروا أنه ولد سنة ٦٠٦هـ وتوفي سنة ٧١٢هـ بطريق العراق ذاهبا . ويبدو أنه كان يعرف بلقب « الزرندي » وأنه حمل هذا اللقب منذ قدومه المدينة المنورة . وأنه أطلق على أحفاده بالمدينة فيما بعد . كما يبدو أن له صلة ما بالعراق ، وربما بما وراء العراق ، فقد توفي في طريق ذهابه اليها . ولا ندرى أكان ذهابه اليها من ناحية الشرق : من ايران ، أم من ناحية الغرب : من البلاد العربية . و « زرندي » - كما ورد في « معجم البلدان » لبياقوت الحموي ، و « زرنج » - كما ورد في « دائرة المعارف الاسلامية » ببلدة في صحراء فارس (ايران) ، غزاها « تيمورلنك » في القرن الثامن الهجري وخربها وقتل سكانها ، فهي من بعده خراب يباب . و « زرندي » أيضا مدينة قديمة كبيرة تقع بين أصهبان وسماوة ، وهي من أعيان مدن كرمان بفارس . وقد ورد في كتاب ناجي معروف « علماء ينسبون الى مدن أعجمية وهم من أرومة عربية » .. « وعز الدين الزرندي نسبة الى زرندي إحدى مدن كرمان : جاز الله وراز رسول الله صلى الله عليه وسلم . عربي أزرجي من الأنصار » . وقد عزى المؤلف هذا القول الى كتابي « منتخب المختار »

و « التلخيص » . وليست « زرندي » اسما عربيا قديما لموضع في المدينة المنورة كما ذكر المؤلف في (ص ٧) ، وليست كذلك قرية من أعمال المدينة المنورة من جهة الشام بقرب وادي القرى ، كما نقل المؤلف عن « المغانم المطابة » للفيروز آبادي . وقد أبان محقق الكتاب أن « في المغانم المطابة (ص ١٧٠ - ١٧١) خلاف هذا النص المنقول » . فهل نزح يوسف الأنصاري من « زرندي » الى المدينة المنورة في أوائل القرن الثامن الهجري ، ثم حاول منفردا العودة اليها من طريق العراق ، فمات في الطريق ذاهبا ، كما تحدثنا به النصوص ؟ ويقرب من شقة هذا التخريج أن بعض آل الأنصار لا يزالون في إيران منذ الفتح الاسلامي ، بحكم اسهامهم في غالب الفتح الاسلامي . كما يقرب من مسافته أيضا أسماء آباءه : الحسن ، محمد ، محمود ، الحسن .. فهذه الأسماء كثيرة الدوران في إيران . وإذا افترضنا هذا التأويل وسلمنا به ، تنحل عقدة لقب « الزرندي » ، واسم « زقاق الزرندي » في المدينة المنورة ، اذ يكون يوسف الأنصاري ، وربما كان هذا لقبه الأصلي حينما قدم المدينة ، نزل بسدار في الزقاق المعروف بعد نزوله به « بالزرندي » ، واتخذها سكنا له ولأسرته ، فعرفت به الدار ، وعرف به الزقاق حتى يوم الناس هذا . وقد استمر لقب « الزرندي » على أسرته في المدينة ردحا من الزمن حتى عدل منه ، لسبب نجعله ، فصار اللقب قبيل القرن الثاني عشر الهجري أو فيه « الأنصاري » .. وهكذا هجر لقب « الزرندي » بالنسبة لهذه الأسرة ، ولكنه بقي الى اليوم علما على الزقاق المعروف به ، والقريب من المسجد النبوي من ناحية الغرب ، والذي يعتبر مدخلا جانبيا لسوق « الحذرة » الواقعة الى غربه من كتب .

هذا ويبدو لي أن شجرة النسب التي أوردها المؤلف ، في انتسابهم الى أنس بن مالك الأنصاري ، خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لا تخلو من حذف في بعض أسماء الجدود ، وذلك أنها تجعل بين عبد الرحمن الأنصاري ، مؤلف الكتاب ، وهو من أهل القرن الثاني عشر الهجري ، وجده أنس بن مالك ، واحدا وعشرين أبأ فقط ، على أنه بين المؤلف وجده أنس ، أحد عشر قرنا . فإذا رجعنا الى النظرية الاجتماعية الحصيفة التي وضعها عبد الرحمن بن خلدون ، في مقدمته الشهيرة وطبقها على نسبه ، فظهر له أنه منقوص ومبتور فيجب أن يكون بين المؤلف

وجده أنس ، ثلاثة وعشرون أبأ ، لا واحد وعشرون أبأ كما جاء في كتابه .

دراسة عامة موجزة للكتاب وتصنيف لموضوعاته

يحتوي الكتاب كثرة من أسماء الوظائف العثمانية : المدنية والعسكرية ، في المدينة المنورة ، مثل : « مشيخة الفراشين بالمسجد النبوي » ، « الترجمة بين القاضي والشعب » - لأنه تركي وهم عرب - « نيابة القضاء » ، « القضاء للأتراك » ، « الخطابة والامامة بالمسجد النبوي » ، « الافتاء » ، « مشيخة القرآن » ، « المحضرة بالمحكمة الشرعية » ، « التوبجبة » ، « الأسبا هيبة » .. الخ .

وهناك وظائف تولاها « مدنيون » خارج محيط المدينة ، مثل « حكم بندر » مصوع ، و « أمانة بندر » ينبع .. الخ . وقد عني الكتاب عناية خاصة بالثروة والأثرياء في المدينة ، حتى ليكاد يكون أحصاهم عدا . وقد أفادنا ، ضمتنا ، بأن ثراهم يعود الى أحد أمرين : اما تعاطي التجارة ومزاولة الصناعة ، واما الدخول في سلك الوظائف الحكومية أو الأهلية ذات العلاقة المباشرة بالمال . ولم يعر بي في الكتاب ذكر مزارع أثرى من زراعتة . ان الزراعة تأخذ وتعطي ، وتعطي وتأخذ ، ومن ثم لا يكون فائضها الدائم ذا حجم كبير ثابت .

ويقسم المؤلف الأثرياء في المدينة الى فئتين : أصحاب ثروة ، وأصحاب ثروة عظيمة . ويترآى لي من محتوى عبارات الكتاب ان من ملك عشرة آلاف غرش الى ثمانين ألف « مشخص عتيق » يعتبره المؤلف من الأثرياء في البلد ، ويشيد بغناه . ويجب أن لا ننسى في هذا الموقف قوة الشراء النقدية اذ ذلك .

ويحتوي الكتاب أيضا نقدا موضوعيا ، ونقدا غير موضوعي . فمن أمثلة النقد الموضوعي قوله في « عثمان أغاي القلعة السلطانية » أي رئيسها : « وكان رجلا مباركا ، ليس له من الأمر شيء » ، وانما التحريف والتصرف فيها لكواحيها - نوابه - وكان هذا سبب الفتن ، وتطلب (٣) الجهال على العقال » (ص ٥٢) . ويتم اطار صورة النقد اذا تذكرنا أن صيغة « مبارك » الواردة في أول العبارة وصفا لعثمان ليست مدحا له ، وانما هي ذم في غلاف مدح ، فهي في عامية المدينة الدارجة تعني : « الساذج » و « المغفل » . ومن أمثلة النقد غير الموضوعي في الكتاب قوله

عن بعضهم : « فاسق ، فاجر ، نمام بين الناس ، وما يشك فيه أنه من أخوان الشيطان الخناس ، وكذلك فلان أخوه ، زاد عليه بالكذب وما هو في معناه » (ص ٣٤٤) . وقوله عن آخر : « وكان بذيء اللسان ، لا يكاد يسلم منه انسان » . وقوله عن ثالث : « وكان كثير المزاح ، ذا وجه وقاح » (ص ٣٨٨) .. فمثل هذا النقد ليس موضوعيا ، وانما هو شخصي محض ، وهو أقرب الى الهجاء وذكر المثالب الشخصية . ومن نقده غير الموضوعي حملته على بعض من يتسبون الى الأنصار أو أية أرومة عربية قديمة ، فبيت « شعيب » مثلا لا يقر لهم بنسبهم الى الأنصار ، لكنزتهم ولو ورد الحديث النبوي الشريف عن قلة الأنصار في آخر الزمان . وهذه حجة واهية ، فاليبت الواحد مهما يكثر فهو قلة ضئيلة بالنسبة للفيض الزاخر من الأمة الاسلامية ، كما يفهم من فحوى الحديث النبوي . وهناك أنساب رفض اقارها وجاهر بانكارها ، ولم يقدم أية حجة أو مستند على هذه الدعوى . ونافي الشيء مطالب عقلا ونقلا ، بدعم فقيه بحجج معقولة ومقبولة . وآية عدم موضوعية فقيه هي اقاراه بنسبة بيت « البكري » في مصر الى أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، فقد اتضح من نصوص الكتاب أن من رواه هذا الاقرار منه أنهم في مصر لا في المدينة ، وأن له صلة نسب الى بيت البكري هذا ، من جهة الأمهات . (ص ١٠٧) .

وكما تتبع المؤلف الأثرياء حتى ليكاد يحصيه ، ويذكر أسباب ثرائهم ، فكذلك هو يتتبع العوامل السياسية في البلد ، وما تنتجه من مختلف النتائج الايجابية أو السلبية ، فلهذا الفتن والاضطرابات التي قد تؤدي بالأفراد والعشرات ، أمكنة بالكتاب . فمثلا تجد فيه حديثا مسهبا بعض الشيء من فتنة أبي بكر جبريل المدني ، وزير الشريف بركات ، صاحب مكة . وفتنة الوزير الآخر محمد الخلفاني ، التي يبدو أن لمحمد الجنتري ضلعا فيها . وفتنة حسن ظافر التي أدت الى قتله بمصر سنة ١٠٨٣ هـ .. الخ . والمؤلف في أغلب الأحيان يفصل أسباب هذه الفتن الموبقة ، ونتائجها ، ويجمعها في بعض الأحيان . وقد فهمنا من سياق أحاديثه عن الفتن والاضطرابات السائدة في المدينة اذ ذاك ، أنها قد أثمرت وجود فتيان شجعان يذودون عن الحمى ، ويخوضون المعارك ، وربما قتلوا في المعارك أو غيلة وغدرا من قبل خصومهم الشخصيين أو خصومهم الحزبيين . كما قد

نشأت ثقافة حرية متواضعة ، نرى من آثارها قيام « عبد القادر فقيب زادة » بتأليف كتاب في معرفة الرمي بالسهم وغيرها . (ص ٤٧٦) . ويظهر من نصوص الكتاب أن المدينة في القرن الثاني عشر الهجري قد استقبلت أفواجا كثيرة من الأسر الاسلامية والعربية النازحة اليها من أوطانها . وهذه الهجرة الفياضة أثمرت أمرين ، أحدهما : بدء تطور سكاني ، وثانيهما بدء تطور عمراني . ونرى عبد الرحمن الأنصاري المؤلف حيال هذا الفيض الطامي من المهاجرين الكثير ، وهو يحاول ما استطاع أن يحافظ على مكانة أسرته العريقة ، يقاوم بكل قواه فكرة الاشتراك مع بعضهم في النسب الى الأنصار ، ممن يقول بذلك منهم . وكان بعض هؤلاء القائلين بذلك ، فيما يبدو من الكتاب ، ذوي وجهة . وحينما نزرح من المدينة الى مكة وبقي بها ١٧ عاما لأسباب موجبة ، واطلع فيما اطلع على كتاب ألفه « جارالله بن فهد المكي » . وسماه باسم ثقليل هو : « القول المؤلف » في نفي نسبة الخمسة البيوت المنسوبين الى الشرف . ما كان منه الا أن اهتبل الفرصة ففسج على منواله ، وألف كتابا دعاه : « نزهة الأبصار » ، في عدم صحة نسب الخمسة البيوت المنسوبين الى الأنصار . (ص ١٠٩) . وقد جاء اسم كتابه هذا ، أشد ثقلا من كتاب ابن فهد . وخلاصة ما أريد أن أقوله في الكشف عن الدوافع الخفية التي جعلت المؤلف يقف موقفا سلبيا حازما أمام « الوافدين » ، هي أنه ربما تكونت لديه عقدة نفسية واجتماعية حيال هؤلاء . يدلنا على ذلك موقفه الايجابي المتصاعد الثابت في تمجيد أسرته ، ومن يتعلق بهم بوساطة قرابة أو صهر ، أو حتى « محبة أكيدة أو صحبة شديدة » . انه يريد أن يبقى على وجودهم وكيانهم القديم .. بكل ما أوتي من وسائل الدعاية المعروفة في عصره وعصره . ولذا نراه يصف جده بقوله : « الأمجد » ، ولذا نراه يضفي برودا محبرة من الثناء والتقدير على أسرته في المدينة المنورة ، وإذا ترجم لأحد منهم فانه يرفع مستواه ، ويوسع ترجمته ، ويوضح عظمته من يشتمى اليه هذا المترجم في دين أو دنيا (ص ٢٢٧ و ٢٢٨) .

ويوسع المؤلف الحصيف أن يلتقط من الكتاب ما شاء من الشؤون الاجتماعية والاقتصادية والعمرانية في المدينة ، مثلا : لعبة الشطرنج كانت سائدة في المدينة اذ ذاك ، حتى ان التاجر « بدر أبو خثيم » انهمك في لعبها مع بعض

أصحابه الذين مرّ بدراهم في طريقه مع قافلة تجارية له الى مكة ، فمني القافلة حتى فاتته . (ص ٤١٥) وهناك كنية خاصون للعروض التي يرفعها المستعدون للدولة العلية ، يكتبونها هؤلاء بالتركية (ص ٣١١) وللموسيقى هواة معروفون (ص ٣١٧) . ويوجد في المدينة الأقوياء الخارقة قوتهم ، ومن لهم معرفة بهندسة الأرض والبناء . والأكلة الذين قد يهتمون الكباش الكبير (ص ٣٧٠) وكانت تقام اجتماعات رتيبة ، ودورية وأسما كذلك في المنازل المناسبة (ص ٤٧٧) . ويوجد علماء وصلحاء وجهاء في المدينة وشعراء ظراف وغير ظراف .. ويسود المدينة جو تركي ، فقد انتشرت لغة الحاكمين الأتراك في أوساط المدنيين ، وتسربت عشرات الألفاظ التركية والمشتقة الى لهجتهم . وهناك طلبة علم يدرسون العلوم الاسلامية في المسجد النبوي على أيدي مشايخ معترف لهم بالمكانة العلمية .

وقد حوى الكتاب كثيرا من الصيغ الأجنبية الوافدة مع الدولة الحاكمة . وقد شرح محقق الكتاب معظمها فكان موفقا في هذا الشرح ، ولكونها قد انقرض أغلبها من الاستعمال في اللهجة العامة الدارجة بالمدينة المنورة ، اليوم ، اللهم الا ما قل ونذر .. فها نحن أولاء نثبتها ، ونورد شرحها فيما يلي للتسجيل والافادة والامتناع :

الكلمة الأجنبية شرحها بالعربية

آغا	رئيس أو سيد أو رجل عظيم
أودياشي	رأس الجماعة من العساكر
اسباهية	الفرقة الكبيرة من الجيش
اسطه	الماهر في صناعته
أطروش (أطرش)	أسم
انقشاري	العسكر الجديد
باش اختياري	رئيس قدماء المعارين
برش	نوع من المعجون المخدر
بلطجي	جندي يحمل الفأس ليقطع الأشجار
بيرقدار	حامل العلم
جامكية	راتب
خزينة دار	متولي أمر الخزانة
جاوش	جندي ذو رتبة عسكرية دنيا
خواجه	معلم أو كاتب أو تاجر أو شيخ أو سيد
دردار	حاكم منطقة
درويش	عضو في طريقة صوفية
دفتر دار	مشرف على الشؤون المالية أو وزير المالية

الكلمة الأجنبية شرحها بالعربية

فرمان	عهد السلطان للولاة
قاووق	للنسوة طويلة لغطاء الرأس
كتخداز	نائب المسؤول أو وكيله
كدل	التمكين من صناعة ما
كشك	قبة
كخيخه - كخيخا	نائب المسؤول أو وكيله
مستعفظان	العسكر الجديد
ملا	طالب علم أو عالم
طنجه	مسدس أو غدارة
طرية	التقود ذات الطرة السلطانية
طواشيه	المخصيون
مشد	مشرف على الحجرة النبوية
وجاق	طائفة من الجند
الينكجري	العسكر الجديد الذي أسس في عهد السلطان مراد الأول

ومن هذه النواحي التي المعنا اليها تتكشف لنا بيئة المدينة المنورة في ذلك القرن كما هي ، حتى لكأننا نعيش مع المؤلف الفاضل في ذلك الظرف . وهذه مزية مهمة للكتاب ، من حقها أن تدرس دراسة واعية وافية لأنها تمثل واقعا كان حيا ، لولا تسجيل عبد الرحمن الأنصاري له في كتابه ، لبقى رهن تلافيف الغموض . وهناك ظاهرة أخرى في الكتاب ، فالمؤلف يلتزم عبارات معينة لا يريم عنها حول ، وكلما جاءت مناسبتها كررها بذاتها . ومنها قوله : « تحب الجمالة » ، في كل حالة . « وكان رجلا كاملا ، عاقلا فاضلا » . « وكان بينهما محبة شديدة ، وصحبة أكيدة » . « وكان لطيفا ظريفا » . « لطيف الذات ، ظريف الصفات » . « وسافر الى الروم وعاد بما يروم » . « وكان صاحب ثروة عظيمة » . « وكان حسن الخط والحظ » . « وله أخلاق رضية ، وكمالات مرضية ، وهمة عليّة » . « رجل كامل مؤدب وهمام فاضل مهذب » . « رجل متحرك » . « وكان رجلا شاعرا ماهرا » . « كثير الحركة ، قليل البركة » .. الخ .

وفي الكتاب بعض أسماء العلوم التي كان الطلبة يدرسونها على أيدي مشايخهم بالمسجد النبوي في عهد المؤلف وهي : الفقه ، والحديث ، والنحو ، والمنطق ، والمعاني ، والبيان ، والبديع . وهذه العلوم لا تختلف كثيرا عما أدرنا تدريسها بالمسجد النبوي الشريف ، ونحن أطفال في الأربعينات من هذا القرن

من القلاع والحصون في المشرق العربي





قلعة « الحصن » ، أو حصن الأكراد في جنوب سوريا ، بأبراجها الحصينة .

شهد المشرق العربي في أواخر القرن الحادي عشر الميلادي عدة حملات جريئة استهدفت غزو وإخراجه من الأراضي العربية والاستيلاء على بعض الأماكن الإسلامية المقدسة. وقد أجنح الغزاة الأوربيون بأن هناك مغامرين في هذه المهمة فبعث سيرة خطوطهم التوطينية كأجل الأراضي العربية، مما جعلهم على شاذة العديد من القلاع والحصون الإسلامية التي بقيت في أماكن منفردة من فلسطين والأردن ولبنان وسوريا... بذلك هذا القلاع المحصنة ما عمت أن أخذت تضعضع ونهاوى تحت تأثير ضربات مواكب الإيمان وتطالغ النصر الإسلامية بقيادة صلاح الدين الأيوبي... فزاحت تلكا قطرة واحدة بلوا تجري حتى إلى المسلمين بفضل إيمانهم بالله، ولجأوا لهم بالفرار واستبداد القديس الفرنج والبربر من مرفئ مئات السنين على بناء تلك القلاع التي أصبحت الآن تشهد بعزيمة تلك المحمدين الإسلامية التي استطاعت كسبهم لنا ومخاضتها والاستيلاء عليها..

جبل الفرسان

كان من أهم التحصينات الحربية التي شهدتها القرون الوسطى هي تلك القلاع والحصون التي بناها الأفرنج أثناء حملات الغزو التي شنوها على بعض البلاد العربية والإسلامية ، وأبرز هذه القلاع وأهمها « قلعة الحصن Krak des chevaliers » الواقعة بين معرة النعمان وطرابلس الشام ، والتي ظلت حصنا منيعا في وجه المعارك الحربية المتعاقبة طوال ١٥٠ عاما ، وكان

نقلت الى القلعة على أنها مرسله من قبل القائد الأعلى في طرابلس الشام يأمر فيها فرسانه بالاستسلام ، فاستسلموا ، وغادرت الحامية القلعة متجهة نحو الساحل .

وقد بنيت « قلعة الحصن » في القرون الوسطى ، وهي تضم بين جدرانها مختلف الوسائل الدفاعية التي كانت معروفة في ذلك الحين ، كما أنها تشير بإيجاز الى تقدم البناء العسكري في المشرق العربي آنذاك . وتتميز القلعة بأبراجها القوية المحصنة وبجدرانها العلوية المزودة بفتحات وراجمات كانت

أشد ما يعيق المهاجمين عليها جدارها الجنوبي الضخم الذي يبلغ سمكه نحو ٣٧ مترا. فقد بلغت هذه القلعة من المناعة والتحصين بحيث أطلق عليها اسم « جبل الفرسان » .

لقد حاصر المسلمون قلعة « الحصن » هذه اثني عشرة مرة دون أن يتمكنوا من الاستيلاء عليها ، لكنها سقطت أخيرا على يد السلطان بيبرس عام ١٢٧١م ، ولم يكن سقوطها نتيجة معركة حامية ، وانما كان نتيجة حيلة بارعة قام بها جنود المسلمين ، وتلخص في أن رسالة



قلعة « المرقب - Marqat » في سوريا ، وهي من القلاع
الحصينة التي تولى « الاسبتاريون » رعايتها والحفاظ عليها .



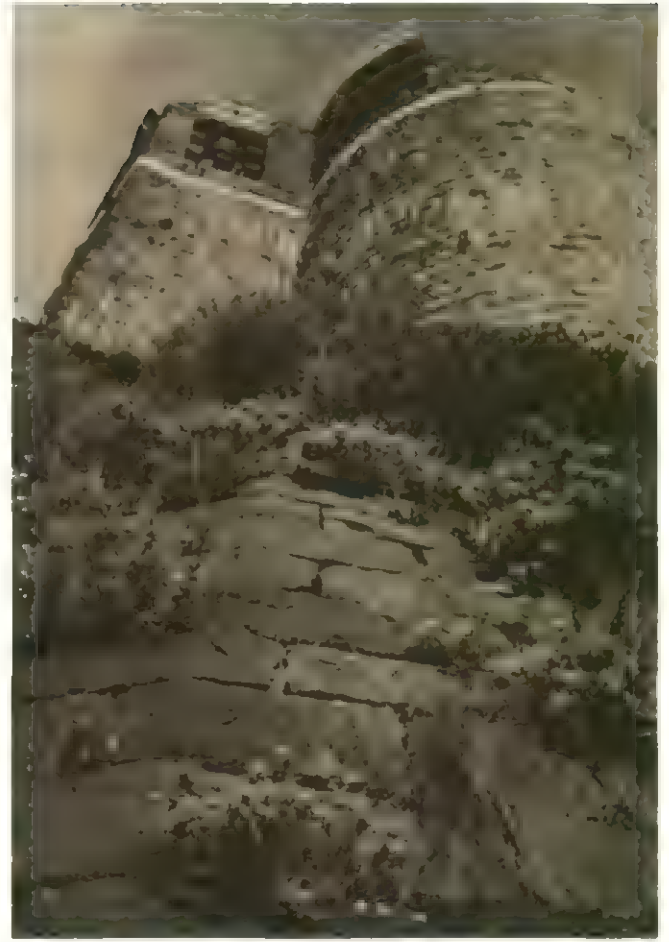
قلعة « النامور - Anamur » التي كانت تقوم بحماية شواطئ أرمينيا التركية .

تعد من أحدث الأنواع المعروفة آنذاك. أما جدرانها الداخلية فمسلحة بقطع كبيرة من الكتل الصخرية. كما أقيمت في الأماكن الحساسة منها مجموعة من القلاع الأخرى المنيعة تتكون كل منها من ثلاثة أبراج مترابطة مع بعضها البعض . واستخدم في بنائها أجود أنواع الحجارة المربعة المنحوتة . كما استخدم في بناء جناحها الداخلي كتل من الحجارة يبلغ طول الواحد منها نحو متر ، وارتفاعه نحو ستين سنتيمترا . وأقيمت أمام مدخلها وسائل دفاعية ثابتة . ويوجد في الممر المسردب الذي يقضي الى الجناح الداخلي ثلاثة منعطفات تحميها راجمات ضخمة ، وأربع بوابات كبيرة ، وشعيرة حديدية . ومع كل هذه التحصينات كانت قلعة الحصن تبدو جميلة النسق منيعة المظهر ، فقطاطرها المزركشة والسراديب التي تقود الى مقر القيادة فيها تنم كلها عن مستوى مهارة البنائين ومدى براعتهم في فن البناء خلال القرون الوسطى . ولا عجب ان وصفها « لورنس » العرب بأنها من أكثر قلاع العالم اثارة واعجابا .

بالرغم من أن قلعة الحصن تعد من أهم القلاع التي بناها الافرنج في القرن الحادي عشر ، فإن هنالك قلاعا أخرى عديدة تكاد تضاهيها منعة وتحصينا . فمن بادية الشام حتى جبال طوروس ، كانت تحصينات الافرنج تطل على كل ممر استراتيجي ، ورفأ ساحلي . وفي البتراء كانت أبنيتهم ترتفع فوق الصخور الحارقة ، وفوق مخلفات معابد النبطيين القديمة ، كما كانت قلعة « لامونستر - Le Moine » الجبلية ترفض على ارتفاع نحو ٢٠٠٠ متر تكسوها الثلوج طوال منتصف العام . وفي منطقة الحابس جال جلدق - El Habis Djal Djaldak قاموا بتحسين الكهوف المواجهة للصخور الكبيرة . وكانت قلعة « السقف عزون » Beaufort تطل على نهر اللباني . فمعظم هذه القلاع والحصون كان الهدف من اشادتها حماية الحدود المصطنعة التي انتزعها الافرنج من بعض الدولة الاسلامية في المشرق العربي . بيد أن ثمة دافعا آخر يكمن وراء بناء هذه القلاع والحصون المنيعة ، هو قلة عدد رجال الافرنج المحاربين . فبالرغم من ضخامة تعداد الجيش الذي أعده الافرنج في كل من « نيقيا - Nicaea » أو « ازنق - Iznik » عام



عمود من الصخر طوله نحو ٣٠ مترا يواجه احدى القلاع الاستراتيجية الواقعة بالقرب من مدينة اللاذقية .



أحد الأبراج في قلعة « المرقب » وقد زود بالراجعات لحمايتها من المهاجمين .

التحصينات العسكرية على جانب من الانتقان والدقة ، فالقلاع كانت دفاعية بحيث كان باستطاعة رجل واحد حمايتها ، كما انه كان من الممكن لرجلين حصارها ، يقف كل منهما على جانب من البوابة . الأمر الذي حدا بهم الى بناء قلاع هجومية تختلف اختلافا كبيرا عن القلاع المعروفة آنذاك في هذه المنطقة .

وقد كانت أول خطوة خطاها الافرنج في هذا المضمار أنهم استبدلوا الحصون المستديرة المعرضة للخطر بأخرى مربعة الشكل وطورها بحيث صارت تجمع بين برجين أو أكثر ، وأقاموا فيها الجدران الواقية والأبراج المستديرة الناتئة ، مما مكن المدافعين من استخدام النار في وسائل الدفاع وكذلك زدودوا الجدران الواقية للقلاع بمدخل جانبية لتمكين الحامية من القيام بدور هجومي .

١٠٩٩م ، لم يكونوا أكثر من ١٥٠٠ فارس وحوالي ١٠٥٠٠ جندي . ولم تجددهم نفعا لا النجدة السريعة ، ولا الحملتان الثانية والثالثة . وازاء ذلك . وأمام هذا النقص في الرجال لم يكن هناك بديل من اقامة التحصينات ، وكان على الحجارة أن تقوم مقام الرجال .

لقد كانت قلاع الافرنج من الناحية المعمارية ، امتدادا للفن المعماري الفرنسي الذي طغت معالمة وأساليبه على كثير من بلدان العالم خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين ، وأنت هذه القلاع نتيجة لدمج الخبرة الأوربية بالخبرتين العربية والبيزنطية ، فكان ان أحدثت تغييرا جذريا في فن التحصينات العسكرية .

فعندما جاء الافرنج الى « الشرق - Levant » في نهاية القرن الحادي عشر الميلادي ، لم تكن

١٠٩٧م ، فان الخسائر الفادحة التي مي بها هذا الجيش خلال مسيرته طوال أشهر الصيف عبر الأناضول Anatolia وفي معركة « اسكي شهر - Dorylaeum » كانت كبيرة للغاية ، بحيث أنه لم يبق من أفراد أكثر من ٢٥ ألف رجل لمهاجمة « انطاكية - Antioch » وبعد حصار انطاكية وسقوطها نصب « بوموند - Bohemund » ، ملك صقلية ، نفسه ملكا على انطاكية . واتجه « بولودين - Baldwin » دوق مقاطعة بولوني في فرنسا مع فرقته عبر نهر الفرات للاستيلاء على « الرها - Edessa » . وأثناء تحرك الجيش الرئيسي باتجاه الجنوب ، انفصل قواد آخرون عن الجيش وقاموا باقتطاع ممالك لهم في مناطق جميلة . وفي الوقت الذي وصل فيه الافرنج الى القدس عام

ولقد كانت قلعة الحصن واحدة من سبع قلاع رئيسية تضمها شبكة واحدة يجري الاتصال بينها بواسطة الاشارات النارية . وعندما كان البطل « صلاح الدين الأيوبي » يحاصر قلعة الكرك عام ١١٨٣ ، كان قائد القلعة قادرا على ارسال رسائل ليلية بواسطة الاشارات النارية الى قلعة الملك « داود » في القدس على بعد ٨٠ كيلومترا .

التي يرجع عهدا الى الرومانيين ، فوق المدخل الرئيسي للقلعة حيث يجري انزالها في حال أي هجوم عليها .
لقد تحرى الافرنج الدقة في اختيار مواقع قلاعهم معتمدين في ذلك على طبيعة الأرض الدفاعية وعلى امكان الاتصالات بالاشارات النارية التي كانوا يتبادلونها بين القلاع ، لا سيما في المناطق الشاسعة .

غير أن هذه المداخل كانت موزعة بشكل كان يكشف الجانب الأيسر للمقاتلين أثناء عودتهم الى القلعة . ولتفادي نقطة الضعف هذه ، قام الافرنج بتطوير المداخل المتتوية للقلاع بحيث بات على المهاجمين في حال محاولتهم اقتحام القلاع أن يقوموا بقطع عدد من الممرات المحجوبة مما يعيق عملياتهم الهجومية . كما أعاد الافرنج استخدام البوابة المصنوعة من القضبان الحديدية



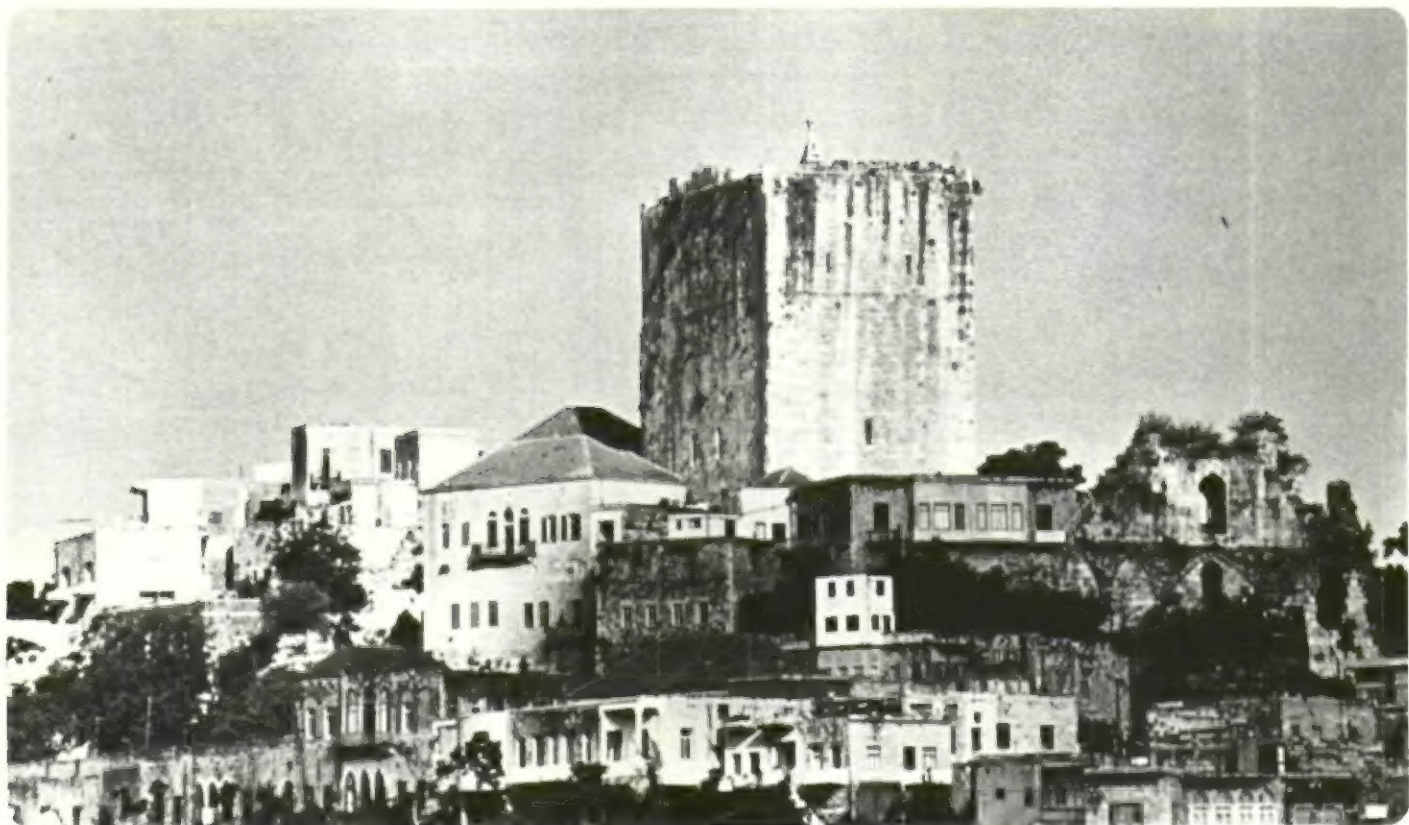
قلعتان تقمان بين مدينتي ميرسن وسيليفك في جنوبي تركيا ، احدهما في البحر والأخرى على اليابسة ، وكانتا تشكلان سلسلة من الاستحكامات التي تتولى حراسة الشواطئ التركية من المهاجمين .



احد أبراج قلعة « الحصن » وقد ظهرت إحدى الفتحات التي كانت تستخدم للراجمات .



كانت قلعة « الحصن » بالرغم من مناعتها تبدو جميلة النسق وقد استخدم في بنائها أجود أنواع الحجارة المنحوتة .



احدى القلاع المشادة في بلدة « صافيتا - Safita » السورية حيث يبدو برج القلعة المطل على البلدة والذي ما زال قائما حتى الآن .



كان أشد ما يعيق مهاجمي قلعة « الحصن » ، جدارها الجنوبي الضخم الذي يبلغ سمكه نحو ٣٧ مترا



اصطبلات الخيل في قلعة « سانجلز - St. Giles » نسبة للكونت ريموند دي جلز الذي حاصر القلعة في طرابلس الشام .



مدخل قلعة « المرقب » وقد أقيم فوق قنطرة
ضخمة تقع فوق خندق مائي يحيط بالقلعة .

وسمك جدرانها التي تبلغ نحو ٧ أمتار ، والتي
تفصل بين المنطقة البحرية التي أقيمت عليها
القلعة نفسها وبين اليابسة . وما يزال أحد أبراج
خط الدفاع الثاني التابع لقلعة المرقب قائما حيث
يصل علوه الى نحو ٣٥ مترا فوق ما يحيط به
من أنقاض .

وعلى الرغم من أن هذه القلاع كانت شبه
اقطاعات ، فإن تكاليف صيانتها ونفقات
المحافظة عليها كانت تثقل كاهل معظم حكام
الافرنج مما اضطرهم الى بيعها أو اهدائها الى
بعضهم البعض . وفي منتصف القرن الثاني
عشر الميلادي كانت ثمة منظمتان اسندت
اليهما مهام رعاية هذه القلاع والحصون ،
هما : « الاسبتاريون - The Hospitallers »

و « الهيكلين - The Templars »
وأخيرا سقطت هذه القلاع والحصون كلها
في أيدي المسلمين ، ولم تستطع صد جحافل
الاسلام القوية بإيمانها

قلعة « النمرود - Subeiba » على سفوح
جبل الشيخ ، « وقلعتي « الشوبك » ،
و « الكرك » Montreal & Kerak عبر البحر
الميت . وقد ساعدت هذه القلاع الحصينة في
تعزيز قوتهم ومنعتهم .

وفي الفترة الثانية ، فترة تراجع فلولهم المنهزمة
أمام جحافل الاسلام المؤمنة ، اضطر الفرنج
الى الاعتماد على مهارتهم العسكرية ، وفي تلك
الفترة بنوا أروع قلاعهم .

ومن ناحية أخرى فقد كان للنقص المتزايد
في أعداد رجال الافرنج وتزايد ضربات المسلمين ،
أن قام الافرنج ببناء عدد من القلاع المتقنة
التحصين مثل ، قلعة « عثليت - Chastel »
Pelerin « و قلعة « المرقب - Margat » .
وتتميز القلعة الثانية بسراديها الأرضية التي
صممت لتخزين مؤن تكفي لألف شخص
في حالة حصار يستمر خمس سنوات ،
بينما تتميز القلعة الأولى بحصانة مخازن التموين

بدأ الافرنج باقامة تحصياتهم العسكرية لدى
غزوهم الأراضي المقدسة تقريبا . غير أنه بمرور
الوقت وبانحسار نفوذ التوسع الذي انتهى بسقوط
مدينة « عكا » في أيدي المسلمين في عام
١٢٩١م . تغيرت طبيعة هذه القلاع وأهدافها .
فقد قاموا في خلال الفترة الأولى من استيلائهم
على البلاد بتقوية التحصينات البيزنطية والعربية
القائمة آنذاك . كما قاموا في الوقت نفسه ببناء
قلاع من شأنها التقليل من أهمية مواقع المسلمين
الحصينة ، وتوسيع نفوذهم شرقا باتجاه الأراضي
الاسلامية . وبعد أن امتد نفوذهم الى أعماق
بادية الشام ، قاموا ببناء قلاع هجومية مثل

اعداد : يعقوب سلام

تصوير : براين سميث ، وغيليل أبو النصر
ووليام تريسي .

قلعة البحر في صيدالبيان من القلاع التي بنى عليها المسلمون

في عام ١٢٩١م. بنىها الملك الناصر محمد بن قلاوون في سبيل الجهاد والفتوة

تصوير: خديجة أبو النصر



الجزيرة الاصطناعية في ميناء رأس تنورة لبحريّة حيث توتّمها النافذات
بعضها تحت زيّات المملكة لبحريّة السعودية إلى الشواطئ العالمية (البحر الأحمر)
تصوير: شفيق أمينة

